



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مَجَلَّة مَعَهَا الْمَخْطُوطَاتُ الْعَرَبِيَّةُ



الجزء الثانى

المجلد الثانى عشر

شعبان ١٣٨٦ هـ

نوفمبر ١٩٦٦ م

طبعة ثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

القاهرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

مجلة معهد المخطوطات العربية / معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم) . ط . ٢ . مج ١٢ ، ج ٢ شعبان (١٣٨٦ هـ -
نوفمبر ١٩٦٦ م) . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م . ١٦٩ ص .

ط / ١٩٩٧ / ٠٦ / ١٠ .

المخطوطات العربية في العالم

المخطوطات العربية في يوغسلافيا

بقلم : الدكتور حسن فلي

بمجيء الأتراك إلى الأراضى اليوغسلافية ، حدثت تغيرات جذرية في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للسكان ، وبالرغم من أن عملية نشر الإسلام وسيره في مختلف مناطق بلادنا لا يزال غير مدروس دراسة كافية ، فإنه من المؤكد أنه بدأ فوراً بعد الغزو العثماني ، ومن المؤكد أيضاً أن الناس كانوا يعتنقون الإسلام بمحض رغبتهم ، ولعل عدداً منهم اعتنق الإسلام من أجل الامتيازات التي كانت لمعتنقي الإسلام ، وليس بأى حال من الأحوال بالعنف والإجبار والظلم ، كما يؤكد بعض المؤرخين غير الموضوعيين .

وبالإضافة إلى هذا فقد كانت توجد من البداية عملية استيطان من جانب الأتراك المسلمين في بعض المناطق ولاسيما في المراكز الكبيرة حيث استوطنت الحاميات العسكرية ورجال الإدارة التركية ، وحول هذه المراكز الإسلامية تشكلت حياة جديدة وخاصة في ميدان الدين والثقافة وقد أدى هذا إلى إنشاء مختلف المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية : الجوامع والتكايا والمدارس الابتدائية التي كانت تسمى في العهد العثماني « مكتب » والمدارس الدينية والدينية الأخرى .

وبجانب هذه المؤسسات الدينية والاجتماعية أنشئت أيضاً المكتبات

التي كان الجزء الأكبر من محتوياتها مكوناً من المخطوطات العربية ،
وكما انتشر الإسلام ، انتشرت أيضاً وتزايدت هذه المؤسسات ، وازداد عدد
الكتيب والمدارس لدرجة أنه بعد مائة سنة أصبح عدد هذه المدارس كبيراً
جداً وأصبح بعضها مشهوراً في جميع أنحاء الجزء الأوروبي من تركيا .

من أجل هذا فإنه ليس من العجب أن يقال إن إنشاء أول المكتبات
الشرقية في البلاد اليوغسلافية الحالية ينبغي أن يبحث عنه في الفترة الأولى
للفوز التركي أى في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر
الميلادي . وإنى أرى أنه من الممكن تقسيم مكتبات تلك الفترة إلى ثلاثة أنواع :

١ — المكتبات الخاصة .

٢ — مكتبات الجوامع والزوايا والتكليا .

٣ — مكتبات المدارس وهي في الحقيقة أهم هذه المكتبات لأنها كانت
من نوع ما مكتبات عامة لأن الأهالي كانوا يستطيعون استعارة الكتب
منها لقراءتها أو نسخها ..

لقد أنشأ المكتبات الخاصة بعض العلماء والعظماء وهواة الكتب الذين
كانوا يملكون الوسائل المادية الوافرة لشراء الكتب ، ومعروف أن الكتب
كانت غالية الثمن لأنها كانت مكتوبة باليد ومزينة بزخارف مختلفة ، ولم يكن
من النادر أن يوقفوا هذه الكتب قبل موتهم أو أن يوقفها ورثتهم بعد موتهم
لبعض المدارس التي كبرت مكتباتها بهذه الطريقة وزاد عدد الكتب فيها .
وكانت المكتبات في الجوامع مكونة غالباً من نسخ المصحف الشريف
وأجزائها والكتب الدينية العامة . وكانت هذه الكتب تعطى للناس لقراءتها
أو نسخها ..

وتتحدث الوثائق العديدة عن بعض العطاء الذين وقفوا وجبسوا لصالح هذه المكتبات أجهل نسخ القرآن وكثيراً من الكتب الأخرى .

وكان للتسكيا أيضاً مكتباتها المكونة غالباً من المؤلفات الصوفية وسير مؤسسى الطرق الصوفية المختلفة ، وكثيراً ما نجد فيها مؤلفات الكلاسيكيين الفارسيين المشهورين مثل جلال الدين الرومى وفريد الدين العطار .

وكما ذكرنا من قبل ، فأهم هذه المكتبات هى التى كانت توجد بالمدارس لأنها كانت مزودة أحسن تزويد بحيث كانت تضم كتباً أكثر عدداً وأكثر فائدة من ناحية المضمون .

ومن رأى ، بل وتؤكد هذا البحوث الأخيرة ، أنه كان يوجد فى يوغسلافيا فى ذلك الوقت حوالى ٢٠٠ مدرسة لها مكتباتها ، بالطبع بعضها صغير وبعضها كبير ، حسب العمر والظروف التى كانت توجد فيها المدرسة وحسب ثروة وقفها وقيمة مورثتها إلخ .

وكانت كل مكتبة من هذه المكتبات تحتوى على أشهر المؤلفات فى الفنون العلمية والدينية التى كانت تدرس فى ذلك الوقت .

وكانت المكتبات والمدارس تؤسس على نظام الأوقاف فقط .

وبما أن الوقف كان يعتبر عملاً من أعمال الخير والإحسان وكانت الكتب من الأشياء التى يمكن وقفها ، فإن المكتبات العديدة التى كانت وقت إنشائها متواضعة كبرت بمرور الزمن بكتب جديدة ، وهكذا لا نجد الأغنياء والكبار وحدهم واقفين للكتب ولكن نجد الناس ذوى الثروة العادية أيضاً .

ومن وثائق الأوقاف المختلفة نرى أن المدرسين الذين كانوا يعنون بهذه

الكتب عندما تكون المكتبات صغيرة ، وأمين المكتبة أو كما كان يسمى حافظ الكتب عندما تكون المكتبات كبيرة .

ويذكر حافظ الكتب لأول مرة في الأراضى اليوغسلافية في وقفية عيسى بك سنة ١٤٦٩ حيث نرى أن عمل حافظ المكتبة كان حرفة ووظيفة ، فقد أصبح أمين المكتبة يحصل على مرتب يومية مقابل عمله .

وبناء على الوثائق التي وجدت حتى الآن ، فإنه من الممكن أن نؤكد أن أقدم مكتبة في بلادنا كانت تلك التي أنشأها قبل سنة ١٤٥٥ ميلادية إسحق بك ضمن مدرسته في سكوبيه وعند إنشائها ، كانت هذه المكتبة تحتوي على ثلاثين كتاباً من المؤلفات المختارة ، كلها باللغة العربية وأغلبها في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى ، وهما هي أهم عناوين بعض المؤلفات التي تذكر في وقفيته :

الكشاف للزخشرى ، وتفسير البغوى ، ومشارق الأنوار ، وشرح المشارق لأكل الدين ، والهداية في الفقه ، وشرح الهداية لجوهر زاده ، وشرح مجمع البحرين لمصنفك ، وصدر الشريعة ، وفتاوى قاضى خان ، وكنية الفتاوى ، وشرح المفتاح للسيد الشريف ، والتلويح ، ومتن الكافية ، وشرح المواقف للسيد الشريف وغيرها .

ولاريب في أن عدد الكتب قد ازداد زيادة كبيرة لأننا نجد هذه المدرسة في منتصف القرن السادس عشر قد أصبحت مدرسة مشهورة في القسم الأوربى من تركيا .

وينبغى ألا يدهشنا أن جميع المؤلفات في هذه المدرسة كانت باللغة العربية لأن اللغة العربية في ذلك الوقت كانت تعتبر أرفع منزلة بالنسبة للغة التركية .

فهي لغة الإسلام والحضارة الإسلامية ، ولها اصطلاحاتها المقررة لا في العلوم الدينية فحسب ، بل في جميع الفنون العلمية . لقد كانت هي اللغة الدبلوماسية لكل العالم الإسلامي .

وفي القرون التي تلت القرن الخامس عشر ، تغير الحال قليلا ولكننا مع ذلك نجد أن ٧٥ ٪ من المخطوطات كانت باللغة العربية والباقي مقسم بين التركية والفارسية .

وقد أنشأ عيسى بك القائد والغازي التركي الشهير والذي يعتبر من أكبر الواقفين في البلاد اليوغسلافية - أنشأ سنة ١٤٦٨ مكتبة من أكبر المكتبات عندنا . ونرى من وقفته المصدق عليها في المحكمة الشرعية سنة ١٤٦٩ أن مكتبته كانت تحتوى على أشهر مؤلفات علماء الإسلام ، وأن أكثر من ٣٣٠ كتاباً مجلداً تتحدث في نفس الوقت عن الفروع العلمية والأدبية التي كانت تدرس في ذلك الزمن ، وقد قسم الواقف نفسه عند تأليف وقفته الكتب حسب الفروع العلمية كما يلي :

في التفسير	٧٥ كتاباً	في القراءات	٨ كتب
في علم الحديث	٤٤	في الوعظ	١٦
في أصول الفقه	٢٣	في الفقه	٥٥
في الفتاوى	٢٦	في علم الكلام	١٥
في علم المعاني والبيان	١٦	في الحكمة	٣
في علم المنطق	٢	في علم النحو	٨
في علم الصرف	٢	في الأدب	٤
في القواميس	١٢	في الطب	١٥

ولننظر الآن عناوين بعض المؤلفات التي تذكر في هذه الوقفية والتي لم يبق منها في يومنا هذا ولا كتاب واحد .

في التفسير : الكشف ، التفسير الكبير في ١٦ مجلداً ، تفسير القاضى البيضاوى تفسير البغوى ، تفسير أبى الليث ، شرح الكشف لمولانا سعيد الدين ، حاشية الكشف للسيد الشريف ، جواهر القرآن ، الرد على الزمخشري وغيرها ..

من كتب القراءات : الشاطبية ، جامع القرآن ، أحكام القرآن لأبى بكر الرازى .. إلخ .

من كتب الأحاديث : صحيح مسلم ، صحيح البخارى ، شرح البخارى للكرمانى ، شرح البخارى للزركشى ، شرح مسلم ، جامع الأصول ، المصابيح ، المشارق ، شرح المصابيح لزين العرب ، شرح المصابيح للقاضى البيضاوى ، شرح المشارق لابن فرشه ، مختصر البخارى ، شرح المشارق لأكل الدين .. إلخ .

من كتب الوعظ : رسالة فى الوعظ ، تذكرة القرطبي ، مدارج السالكين مع البزدوى ، غاية السؤال فى الأدعية ، منهاج العارفين ، نصائح الشيخ زين الدين .. إلخ .

من كتب أصول الفقه والفقه : متن البزدوى ، التوضيح ، التلويح ، الهداية ، الكفاية فى شرح البداية ، شرح الهداية للخبازى ، التجديد فى اللغة ، شرح الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، درر البحار ، .. إلخ .

من كتب الفتاوى : مجمع الفتاوى ، كنية الفتاوى ، خزانة الفتاوى ، فتاوى قاضى خان ، الفتاوى البرازية ... إلخ .

من كتب المعاني والبيان : شرح المفتاح للسيد الشريف ، متن المفتاح ،
المطول ، حاشية المطول ، شرح إيضاح المعاني ... إلخ .

في علم الكلام : شرح المواقف ، شرح المقاصد ، شرح التجريد ، شرح
العقائد ، بحر الكلام ... إلخ .

في كتب النحو والصرف والأدب والقواميس : مغنى اللبيب ، شرح
الكافية .. شرح العزى ، الصحاح للجوهري ، السامى فى الأسماء ، الدستور
فى اللغة ، مختصر صحاح الجوهري ، ديوان زهير ، مقامات الحريرى .. إلخ .

من كتب الطب : كامل الصناعة ، كتاب ابن البيطار ، شرح الموجز
للسديدى ، الموجز فى الطب ، الكفاية فى الطب ، القانون فى الطب ، الشفاء
فى الطب .. إلخ .

إن عناوين هذه الكتب تدل دلالة واضحة على ما كانت تضمه هذه
المكتبة وتبين لنا ما هى الكتب التى كانت تقرأ وتنسخ ، ما هى الكتب
التي كانت تدرس فى هذه المدرسة .

وإذا تصورنا أن هذه الكتب كانت موجودة وقت إنشاء المكتبة ،
فكم ازداد عدد كتبها فى خلال مائتين أو ثلاثمائة سنة ، ولكن اليوم ليس
عندنا أى أثر لكل هذا ..

وكما يرى من تلك الوثائق ، فإن جميع الكتب تقريباً كانت باللغة العربية
لما يعتبر أحسن دليل على انتشار الحضارة العربية عندنا ...

ومما يجدر بالذكر أن حافظ الكتب الذى كان يحصل على درهمن
كترتب يومى يذكر فى هذه الوثيقة لأول مرة . ومن المهم أن نذكر أن عيسى

بك وقف عقاراً كبيراً وعدداً من القرى والدكاكين والكروم والمزارع والطواحين والحمامات وغير ذلك ، وكلها لصالح المدرسة والمكتبة .

وفي الفترة الواقعة بين ١٥٠٣ ، ١٥١١ قام بتسجيل أوقافه وصدق وقفياته الأربعة إسحق جلبي قاضي بيتولى (مناستر) أولاً وقاضي سلانيك فيما بعد ، وقد وقف إسحق جلبي أوقافاً عديدة في بيتولى وسلانيك وبلوفديف (في بلغاريا اليوم) . وكانت أوقافه في بيتولى في صالح جامع يوجد حتى اليوم ومدرسة وزاوية وكتاب . ومن بين أوقافه نجد عدداً من الكتب الموقوفة لاستعمالها في المدرسة . ومن بين الكتب العديدة نذكر عناوين بعضها .

الهداية : لعل بن أبي بكر الفرغاني . . صدر الشريعة ، تفسير القاضي البيضاوي ، تفسير أبي الليث ، فتاوى البزازي ، تفسير مجمع البحرين ، فتاوى قاضي خان ، شرح الهداية ، جامع الفصولين ، مجمع الفتاوى ، فتاوى الوجيز ، خلاصة الفتاوى ، مشتمل الأحكام ، صحيح البخاري ، الزاموز في اللغة ، المطول للتفتازاني ، كتاب المواقف في علم الكلام ، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، مقاصد الطالبين في أصول الدين للتفتازاني ، منار الأنوار في أصول الفقه لحافظ الدين أبي البركات عبد الله المشهور بالنسفي ، الكافية في النحو ، الشافية . العزى في التصريف لإبراهيم الزنجاني . فرائد السجاوندي ، متن المفصل للزمخشري ، المعنى لجلال الدين الخبازي ، الأنموذج في النحو للزمخشري . .

وإذا قارنا هذه الكتب التي ذكرناها من قبل نجد لها متشابهة إلى حد كبير حتى لنجد نفس المؤلفات ، ويمكن القول بأن المكتبات الأخرى كانت تحتوي على كتب متشابهة . . ولكن توجد دلائل معينة على أنه كانت قبل هذه المدرسة في بيتولى مدرسة أقدم وكان لا بد أن توجد ، لأن الإسلام دخل في بيتولى قبل دخوله في المدن الأخرى .

وفي إحدى الوقفيات العربية التي نشرتها ، والتي تعتبر في الحقيقة أقدم وثيقة عربية في بلدنا ، والتي يرجع تاريخها إلى عام ١٤٣٢ م يُذكر عيسى فقيه والد صاحب الوقف جاويز بك ، وجامع عيسى بك هذا لا يزال يوجد حتى اليوم في بيتولي وإن كان قد أصلح ولم يحتفظ بشكاه الأصل .

وعيسى فقيه هذا كان مدرساً للغة في إحدى المدارس في بيتولي ولذلك سمي بالفقيه، وفي هذه المدرسة التي بنيت قبل ١٤٣٤ كان لابد أن توجد الكتب أيضاً . ولكن لم يبق أى شيء من كل هذا ..

وحوالى ١٩١٣ أنشئت أول مدرسة في مدينة بريزرين ، وهي اليوم مدينة صغيرة في منطقة قوصوفو وميتوهيا ، وقد أنشأ هذه المدرسة أحد سكان بريزرين « سوزى » الذى كان شاعراً مشهوراً باللغة التركية ومن بين عدد من الكتب باللغة العربية ، والتركية نجد هنا أيضاً عدداً من المؤلفات باللغة الفارسية ، منها للعطار ، وجلال الدين الرومى ، مما يدل على أنه في ذلك الوقت كان هناك أناس يعرفون اللغة الفارسية معرفة جيدة ويقرأون هذه المؤلفات وهناك شرط طريف لسوزى المذكور في وقفته حول طريقة استعمال هذه الكتب قوله :

« إلى أن يظل في قيد الحياة سيكون هو المالك ، وبعده فليحفظها الشخص الذى سيكون إماماً في جامع ، وليعطيها مقابل رهن أو ضماناً للمتعلمين والقادرين على الاستفادة منها والذين سيقراءون صلوات شريفة لروحه » .

وفي القرن السادس عشر ، كان الأتراك سادة لشبه جزيرة البلقان كلها ، ودخل الإسلام إلى عدد كبير من المدن ، ولذلك نجد مكتبات تحوى مخطوطات عربية في بلغراد ، وينشى وبريشتينيا ، ونوفى بازار ، وأوجيتسا وسرايفو وموستار وبانبالوكا ، وحتى في الأماكن الصغيرة جداً .

وفي القرن السابع عشر كان عدد هذه المكتبات في تزايد مستمر ومعها عدد من المخطوطات أيضاً ..

ويطرح السؤال من أين حصلت هذه المكتبات على هذا العدد الكبير من الكتب ؟ أين نسخت وكيف وصلت إلى يوغسلافيا ؟
إن الكتب التي كانت توجد في هذه المكتبات نسخت في البلاد الإسلامية المختلفة .

وإن كثيراً من هواة الكتب كانوا يشترونها من مختلف المراكز ويصدرونها إلى بلادنا ، وجزء من الكتب أحضره مواطنونا عند عودتهم من الحج ، وأناس كثيرون من بلادنا كانوا يحتلون مناصب عالية في البلاد الإسلامية المختلفة فكانوا يشترون الكتب من هناك ويرسلونها إلى الوطن ويهبونها للمكتبات . وفيما بعد كانت هذه الكتب تنسخ من قبل رجال وطننا ، وفي بعض المراكز الكبيرة مثل سراييفو كان يوجد سوق المجلدين .
ونجد اليوم الكتب المنسوخة في مكة والقاهرة ودمشق وبغداد وفي المدن اليوغسلافية المختلفة أيضاً ، وأحياناً في أماكن صغيرة جداً .

وبالإضافة إلى هذا فهناك أيضاً عدد من الكتاب ذوي الأصل اليوغسلافي كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية والفارسية والتركية وكانوا يتركون كتبهم هذه كوقف .

لقد رأينا من هذه النظرة التاريخية الموجزة أن عدد المكتبات الخاصة والعامة كان كبيراً في ذلك العهد في الأراضي التي تتكون منها يوغسلافيا اليوم . ولكن من كل هذه المكتبات لم تبق إلا مدرسة غازي خسرو بك في سراييفو وبعض المكتبات الصغيرة الأخرى . تلك المدرسة التي تزايدت ثروتها خلال القرون بالكتب الموقوفة من جانب ، وبكتب بعض المكتبات

البوسنوية التي انضمت لهذه المكتبة من جانب آخر .. وقد أسس هذه المكتبة والى بوسنه غازى خسرو بك حوالى سنة ١٥٢٧ ومع أن هذه المكتبة خربت كثيراً عند هجوم النمساويين عام ١٦٩٧ وفقدت كثيراً من المخطوطات ، فقد جددت بسرعة على الرغم من كل ذلك ، وفيما بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٥٠ نقل إلى مكتبة خسرو بك كثير من المكتبات الخاصة ، ومن بينها مكتبة كاراجوزبك فى موستار ومكتبة كانتاميرى من سراييفو ومكتبة الحاج خليل أفندى من جراتشانيتسا ، .. إلخ ..

وفى السنوات الأخيرة ، ازدادت ثروة هذه المكتبة بشراء المخطوطات من مصادر خاصة حتى إنها أصبحت اليوم أغنى مكتبة للمخطوطات الشرقية ، لا فى شبه جزيرة البلقان فحسب بل فى أوروبا كلها .

وبعد أن ألقينا نظرة مختصرة على تاريخ المكتبات والمخطوطات فى يوغسلافيا فلنرى بطريقة موجزة ما هى حالة المخطوطات العربية فى يوغسلافيا فى الوقت الحاضر :

من الصعب إعطاء صورة دقيقة للمخطوطات العربية فى يوغسلافيا ، لأن فهرس المخطوطات لا تزال غير موجودة .. وفى العام الماضى صدر الجزء الأول من المخطوطات العربية والفارسية والتركية لمكتبة غازى خسرو بك الذى أعده قاسم دوبراتشا ، أحد طلاب الأزهر الشريف ، ويوضح هذا الفهرس وإن كان الآن غير شامل ، أنه يوجد فى هذه المكتبة بين المخطوطات العربية عدد كبير من المؤلفات القديمة الهامة جداً ، بل وعدد من المخطوطات الفريدة ، وكذلك عدد من المؤلفات المجهولة فى مجالات مختلفة من المعارف الإسلامية وخاصة فى التفسير والحديث والفقه ..

إن أقدم مخطوط في هذه المكتبة هو « فردوس الأخبار بآثار الخطاب » وهو مجموعة من الأحاديث لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمي ، وقد نسخ عام ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) .

لقد نسخ هذا المخطوط في همدان في المدرسة العادية بعد موت المؤلف بسبع وثلاثين سنة ، ولذلك يمكن أن نستنتج أنه قد يكون أقدم نسخ هذا الكتاب .

أما الكتاب الثانى من حيث القدم فهو المجلد الثالث للكتاب الممنون : كتاب « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » لأبى إسحاق أحمد بن محمد الثملي النيسابورى ، المنسوخ سنة ٥٧١ هجرى — ١١٢٦ ميلادى .

ومن المؤلفات النادرة القيمة مجموعة الأحاديث الشهيرة « الأربعون حديثاً » « الثمانية » « أو إرشاد السائر إلى منازل المتقين » لأبى الفتوح محمد الثانى الهمدانى ..

وهناك عدة مؤلفات من الممكن أن نفرض لأسباب كثيرة أنها بخط المؤلف لأنها لا نجدها فى الفهارس المطبوعة ، فلندكر بعضها فقط :

١ — روضة الأخبار فى شرح مشارق الأنوار ، للأرزنجانى عمر بن عبد المحسن .

٢ — كتاب مختصر موضوعات ابن الجوزى لمحمد بن سليمان النوحى

لعام ٧٤٨ / ١٣٤٧ .

٣ — المقتضب من كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعة لابن

الجوزى المتوفى ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

هناك عدة مؤلفات منسوخة من الأصل مباشرة نذكر من بينها :

١ — الكشف عن حقائق التنزيل للأرخمشرى المنسوخة سنة ٦٢٦ هـ

(١٢٢٩ م) نسخة بلال بن جبرائيل التركمانى فى المدرسة المستنصرية فى بغداد .

٢ - كتاب شرح الألفية للعراق المنقول من النسخة التي كتبها الكاتب بخط يده سنة ٧٨٥ / ١٣٨٣ ، أى قبل وفاته بعشرين عاماً ..

وهناك مخطوطات منسوخة في بلاد بعيدة مختلفة نذكر على سبيل المثال الجزء الثالث لصحيح البخارى المنسوخ في بخارى سنة ٥٨٢١ - ١٤١٨ م والجزء الأول والثانى لصحيح البخارى أيضاً المنسوخ في القاهرة في حى القرافة سنة ٥٨٤١ - ١٤٣١ م .. كما توجد مخطوطات منسوخة في قريم ، وتبريز ودمشق إلخ ..

والقيمة الخاصة لهذه المكتبة هي أنها تحتوى على أكبر عدد من مؤلفات الكتاب من البوسنة والهرسك الذين ألفوا آثارهم باللغة العربية والفارسية والتركية ، ولكن لن نتحدث عن هذه الآثار هنا لأنها كانت موضوع رسالة الدكتوراه للدكتور كامل البوهى ، ونرجو أن نرى كتابه مطبوعاً في أقرب وقت .

إن هذه المكتبة تحتوى على ستة آلاف وأربعمائة وستة وأربعين مجلداً تضم تسعة آلاف مؤلف كبير أو صغير باللغة العربية والفارسية والتركية ولكن ٧٠ ٪ هي باللغة العربية .

وبالإضافة إلى هذه المكتبة توجد في سراييفو بعض المؤسسات والمعاهد الأخرى التي تحتوى على مخطوطات باللغة العربية .

وفي المكان الأول من حيث العدد يأتى معهد الدراسات الشرقية في سراييفو وبه حوالى ستة آلاف مخطوط باللغة العربية والتركية والفارسية .. وهنا أيضاً توجد كتب نادرة وقيمة كثيرة ولكن من الصعب إعطاء حكم عليها لأنه لا يوجد فهرس للمخطوطات ..

ويوجد عدد من المخطوطات في دار الكتب بسراييفو وفي دار

المحفوظات في سراييفو ولكن لا يوجد أيضاً فهرس لهذه المخطوطات .
ومن حيث عدد الكتب تحتل المكان الثالث في يوغسلافيا أى بعد
مكتبة خسرو بك ومكتبة معهد الدراسات الشرقية ، المجموعة الشرقية
في محفوظات الدولة لجمهورية مقدونيا في سكوبيه .

هذه المدينة التي حطمها الزلزال في العام الماضي ، وبالرغم من أن دار
المحفوظات حطمت فإن المخطوطات بقيت بأكملها إلا بعض الوثائق التركية ،
وهذه المجموعة وإن كانت أسست منذ ١٥ عاماً فقط ، فإنها جمعت ما ينوف
عن ٣٥٠٠ مخطوطاً باللغة العربية والفارسية والتركية ، وقد شكت هذه المجموعة
بضم بعض المكتبات الصغيرة في مقدونيا من ناحية وشراء الكتب من المصادر
الخاصة من ناحية أخرى ، وإننى أريد أن أبرز هنا أنه كان في مقدونيا بعض
المدن مشهورة في عهد العثمانيين مثل سكوبيه وبيتولى ، حتى إن أناساً كثيرين
من مناطق بعيدة يأتون إليها لكي يدرسوا العلوم الدينية والدنيوية .

وفي المدن الصغيرة كانت توجد المدارس والمدرسون وكان عدد
المخطوطات كبيراً جداً ولكن الظروف التاريخية كانت قاسية جداً لأن الغزاة
والمحتلين والحروب كانت تتوالى ولم يبق شيء من تلك الثروة الضخمة من
الكتب ومن تلك المكتبات والمدارس إلا ما ذكرنا . .

وفي الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية
أيضاً هاجر عدد من المسلمين من مقدونيا إلى تركيا ولذلك باعوا عدداً من
المخطوطات في السوق بشمن بنس وأخذوا عدداً منها معهم إلى تركيا . ولكن
بالرغم من كل هذه السكوارث فقد احتفظ بشيء قليل من هذه الثروة الضخمة
عندما أسست المجموعة الشرقية في دار المحفوظات في سكوبيا منذ ١٥ عاماً
كما ذكرنا . . ولا يوجد لهذه المجموعة فهرس أيضاً . .

وبناء على ما لاحظته خلال البحوث التي قمت بها فيها فإنه توجد هناك أيضاً كتب قيمة جداً مكتوبة ومنتسخة في جميع القارات التي انتشرت فيها الثقافة الإسلامية ، ويوجد أيضاً عدد من المؤلفات التي كتبها مختلف العلماء والأدباء ذوي الأصل المقدوني .

وعلى كل حال فعند تأليف تاريخ الحضارة الإسلامية للأراضي اليوغسلافية الحالية خلال العهد العثماني فسيكون لهذه المؤلفات أهمية كبرى . .

ومن بين هذه الكتب لم أسجل إلا البعض الذي أثار اهتمامي لأنه مكتوب ومنسوخ في بلادنا ، من مثل شرح الرسالة الوضعية للجرجاني المنسوخ في مدينة شتيب ، وهي مدينة صغيرة في مقدونيا ، و« وقاية الرواية » في سكوبيه ، والتجريد في كلمات التوحيد في بيتوف ، وشرح الفتاوى في بيتولي ، ورسالة المبدأ والمعاد في سكوبيه وغيرها . .

ومخطوطات هذه المكتبة تشبه من حيث الموضوع موضوعات المكتبات الأخرى ، فمنها في علم التفسير ، والحديث والفقه وعلم الكلام والصرف والنحو والمعاني والبيان والآداب ودواوين الشعر ، وكتب الطب والصيدلة والحكمة والكيمياء والرياضيات والهندسة .

وفي عام ١٩٣٥ تقريباً ، أسست في أكاديمية العلوم في بلغراد لجنة خاصة لجمع المصادر الشرقية التي كانت تجمع أيضاً المخطوطات والوثائق ولكن عدد الكتب المجموعة بقي متواضعاً ، وفي هذه المجموعة يوجد اليوم حوالي مائتي كتاب مخطوط باللغات الشرقية الثلاثة . .

وفي زغرب في نفس الوقت تقريباً أسست لجنة خاصة لجمع مجموعة الكتب والوثائق الشرقية تلك اللجنة التي استطاعت أن تجمع حوالي ١٧٠٠ مخطوط . ولكن لم يؤلف حتى اليوم فهرس لهذه المخطوطات .

ومنذ عشر سنوات أنشأت في مدينة بريشتينا مكتبة الأوقاف أهدي إليها كثير من الناس مخطوطاتهم ، وبهذه المكتبة الآن حوالى ١٥٠٠ مؤلف مخطوط من مختلف الفروع وأغلبها العلوم الدينية ، ومن جميع الكتب سبعون فى المائة باللغة العربية ، وعندما اطاعت على مخطوطات هذه المدرسة سجلت بعض العناوين أذكر منها :

تعريفات السيد الشريف المنسوخ سنة ١٥٠٦ ، والإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ، المنسوخ سنة ١٦٠٦ ، وكثر الدقائق للنسفى المنسوخ سنة ١٤٠٢ ، وصحيح البخارى المنسوخ سنة ٩٦٦ هجرى ، ومن ثم تفسير البغوى ، القاضى البيضاوى ، وأبى السعود وغيرها ..

وفى مدينة بريزرين فى منطقة قوصوفو وميتوهيا توجد أيضاً مجموعة صغيرة من المخطوطات التابعة لمكتبة الأوقاف تحتوى على ٥٠ مخطوطاً . ومن بين هذه المخطوطات نذكر : تفسير الكاشفى باللغة الفارسية وهو مخطوط رائع مزخرف منسوخ عام ٩٨٤ م ، والجامع الصحيح للبخارى ، وفتاوى قاضى خان المنسوخ سنة ٩٦٦ ، وشرح مجمع البحرين المنسوخ سنة ٨١٣ هـ ، ومن ثم قاموس الفيروز أبادى المنسوخ سنة ٩٦٨ .. وصحاح الجوهري وغيره .. ووجدت هناك بعض المخطوطات التى وقفها سنان باشا .. فاتح البنى ووالى القاهرة والصدر الأعظم الذى كان مسقط رأسه فى قرية من قرى هذه المنطقة ..

وفى المكتبة الجامعية فى بلغراد توجد أيضاً مجموعة من الكتب النثرية التى تضم حوالى ٣٥٠ مخطوطاً التى اشترتها هذه المكتبة من مختلف الناس ، وأغلبها من أحد الأئمة من مدينة بيتش الذى كان منذ سنين يجمع المخطوطات خاصة تلك التى كتبها أناس من بلادنا .. وهذه الكتب أيضاً تمثل مادة قيمة لبحث تاريخ الثقافة والتعايم لأننا نجد أن بعض الكتب باللغة العربية

والفارسية والتركية منسوخة في أماكن صغيرة لا يمكن أن يكون بها في العهد التركي أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف نسمة .. وبما أنني اشتريت أغلبية هذه الكتب باسم المكتبة ومجلتها في القائمة ودرست مضمونها فساذكر أهمها :

« مشكاة الأنوار للغزالي ، أيها الولد للغزالي ، وقد نسخا في مدينة صغيرة تسمى جاكوفيتسا ، نقطة البيان المنسوخ في مدينة بريزورين ، تفسير البغوى ، كتاب صدر الشريعة ، كتاب فتاوى البزازية ، عوارف المعارف لشهاب الدين السهروردي ، كليات أبي البقاء المنسوخ سنة ١١٧٦ هـ ، وحياة الحيوان المنسوخ سنة ٧٧٦ هـ ، ومختصر المعاني المنسوخ سنة ٨٩٠ هـ ، الكتاب المنيف في صناعة التعريف للقاضي الببضاوى ، صحيح مسلم ، حاشية السراجية في الفرائض النامخ والمنسوخ في المقامات ، كتاب الصلوات في معرفة أنواع الصلاة .. المنسوخ عام ٦٣٠ هجرى ، شرح مسلم المنسوخ سنة ٦٤٢ هـ ، كتاب النزهة في علم الحساب لشهاب الدين ، كلية ودمنة وغيرها ..

ويمجدد بنا أن نذكر هنا رسالات الشيخ محمد نور العربى الطنطاوى المصرى الذى هاجر من طنطا إلى يوغسلافيا وأسس في بريزورين وسكوبيه وشتيب التسكايا المولوية وقام بنشر هذه الطريقة وألف رسائل عديدة يذكرها صاحب هدية العارفين ، وكلها عن الصوفية بشروح محي الدين بن عربى .. وأنا أفترض أن هذه الرسالات نادرة لأن محمد نور العربى ألفها في سكوبية وشتيب حيث مات ودفن ويوجد قبره حتى الآن ..

وأخيراً لم يبق لنا إلا أن نرى ماذا عمل حتى اليوم ، وماذا ينبغى عمله لجمع ودراسة وبحث المخطوطات في يوغسلافيا ..

إن عدداً كبيراً من المخطوطات العربية لا يزال يوجد في ملكية مختلف

الأشخاص ، فحيث إن عدد الذين درسوا اللغة العربية وخاصة العلوم الدينية كان كبيراً وكلهم كانوا يملكون في مكتباتهم عدداً من المخطوطات ، يحدث أن يهمل ورثتهم هذه المخطوطات بعد موتهم أو يبيعونها بشمن رمزى بدون أن يعلموا قيمتها، وسأذكر هنا أن عدداً محترماً من أئمة المخطوطات في بلادنا، اشتراها بعض الأجانب ونقلها خارج حدود يوغسلافيا .

كل هذه المخطوطات التي بقيت في أيدي الناس يجب جمعها ، ولكن هذا ليس كافياً بل يجب أن نجد بدراسة هذه المخطوطات وتأليف الفهارس عنها ، فقد قلنا إن من بين آلاف الكتب الموجودة صدر حتى الآن الكتاب الأول من فهرس مخطوطات مكتبة غازي خسرو بك وأسباب عدم صدور هذه الفهارس حتى الآن كثيرة متعددة :

أولها : أن المتخصصين الذين يستطيعون دراسة المخطوطات دراسة علمية ويؤلفون الفهرس حسب الأصول العلمية قليلون ..

ثانياً : نقص الوسائل للمادية لأن طبع فهرس يتكلف كثيراً عندنا في يوغسلافيا لأنه لا يوجد في البلاد كلها إلا مطبعة واحدة يمكن طبع النصوص العربية فيها .. وهذه المطبعة دائماً مشغولة ، وتجرى الآن الأعمال في تأليف الكتاب الثاني لمكتبة خسرو بك ، كما تجرى الأعمال في تأليف كتالوج المخطوطات في معهد الدراسات الشرقية . وإني آمل أنني سأبدأ عن قريب في تأليف فهرس المخطوطات في المكتبة الجامعية في بلغراد . وعندما ينتهى عمل الفهارس تكون لدينا صورة حقيقية للمخطوطات العربية في يوغسلافيا ، وإني متأكد أنها ستكشف لنا عن كثير من الآثار النادرة القيمة تتحدث عن ضخامة واتساع الحضارة والثقافة العربية وانعكاساتها في يوغسلافيا ..

التعريف بالمخطوطات

الرد على الزبيدي في لحن العامة

تحقيق وتقديم الدكتور عبد العزيز مطر

إذا ذكرت الكتب التي تناولت اللحن في اللغة ، عند عامة الأندلس وصقلية والمغرب العربي ، برزت في مقدمتها ثلاثة كتب ، ألفت في ثلاثة قرون متتالية ، هي :

١ — لحن العامة : للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأشبيلي (ت ٣٧٩ هـ — ٩٨٩ م)^(١)

٢ — تثقيف اللسان وتلقيح^(٢) الجنان : للإمام أبي حفص عمر بن خاف ابن مكى الصقلی (ت ٥٠١ هـ — ١١٠٢ م)

٣ — المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان : للإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن هشام اللخمي الإشبيلي السبتي (ت ٥٢٧ هـ — ١١٨١ م)

وإذا كانت وحدة الموضوع ، ووحدة البيئة ، وقرب الزمن ، قد ربطت بين الكتب الثلاثة فجعلت منها عناصر مشتركة ، فإن رابطة أخرى نشأت بينها تدعوها إلى الذهن عند ما يذكر واحد منها . ذلك أن الكتاب الأخير قد صدره مؤلفه بالرد على بعض المسائل التي تضمنها الكتابان الأولان .

(١) نشر في الكويت بتحقيقنا .

(٢) نشر بتحقيقنا ضمن منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٦ م

فابن هشام يرى أن الزبيدي « تعسف على عامة زمانه في بعض الألفاظ ، وأنحى عليهم بالإغلاظ ، وخطأهم فيما استعمل فيه وجهان وللعرب فيه لغتان » وأن لابن مكي أوهاما ، وأنه — كسابقه — أنكر على العامة ما يحتمل التأويل أو يكون عليه من كلام العرب دليل .

ولهذا بدأ ابن هشام كتابه بالرد عليهما فيما أنكراه ، ثم شرع ينبه على أخطاء عامة عصره ، مما ذكره الزبيدي وابن مكي وما لم يذكره .

وكتاب ابن هشام لا يزال مخطوطا لم ينشر منه سوى هذا الجزء الذي تقدمه ، وهو الجزء الخاص بالرد على الزبيدي ، وسوى مجموعة من الألفاظ انتخبها منه الدكتور عبد العزيز الأهواني ، ونشرها في بحثه « ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة »^(١) وسوى ما نشره سيادته أيضا من هذا المخطوط في بحثه المنشور في كتاب « إلى طه حسين : في عيد ميلاده السبعين »^(٢) .

وقد اعتمدنا في تحقيقنا لرد ابن هشام على نسختين مخطوطتين في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا ، أولاهما برقم ٤٦ وأوراقها ٧٢ وهي نسخة الأصل بالنسبة لهذا التحقيق ، والأخرى برقم ٩٩ وأوراقها ٩٢ (ورده زهام) وقد تفضل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني بإعارتي النسخة الأولى التي لم أتمكن من الحصول على مصورة لها ، على حين صورت لي النسخة الثانية التي ينقص رد ابن هشام على الزبيدي فيها خمس عشرة فقرة من فقر الرد التي بلغت خمسا وستين .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث : ١٩٥٧ .

(٢) دار المعارف : ١٩٦٣ .

وعنوان النسخة رقم ٤٦ : كتاب الرد على الزبيدي في لحن العوام .
وعنوان النسخة رقم ٩٩ : كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان
وهذا العنوان الأخير أورده السيوطي في البغية^(١) نقلاً عن التجبي في رحلته .
وهذا العنوان الأخير أقرب إلى أن يكون عنواناً للكتاب ، لأن الكتاب
ليس رداً على الزبيدي وحده ، بل هو رد على ابن مكي أيضاً ، وهو بعد الرد
من كتب اللحن التي تستهدف تقويم اللسان ، وهذا إلى أن ابن هشام ذكر
في مقدمته ما يستشف منه هذا العنوان وإن لم ينص عليه صراحة ، فهو يقول
في هدف كتابه « ليكون مدخلاً إلى تقويم اللسان وتعليم الفصاحة التي هي
جمال الإنسان » وهذا يشبه ما ذكره ابن مكي في مقدمة كتابه « ليكون
الكتاب تثقيفاً للسان وتلقيحاً للجنان »^(٢) وهذا هو عنوان كتاب ابن مكي
الذي كان بين يدي ابن هشام وهو يؤلف كتابه .

ويتألف « المدخل إلى تقويم اللسان » من ستة أقسام هي :

١ — الرد على أبي بكر الزبيدي في لحن العامة ، وهو الجزء الذي نشرناه
مع مقدمة الكتاب .

٢ — الرد على ابن مكي في تثقيف اللسان .

٣ — باب ما جاء عن العرب فيه لغتان فأكثر استعملت العامة منها
أضعفها وربما استعملت أقواها ، وربما عدلت عن الصواب في ذلك
ونطقت باللحن .

٤ — باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ولا عليه من لسان
العرب دليل .

(١) ٤٨/١ (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)

(٢) مقدمة تثقيف اللسان بتحقيقنا .

٥ — باب ما جاء لشيئين أو لأشياء فقصره على واحد .

٦ — ما تمثلت به العامة مما وقع في أشعار المتقدمين ، تلقنوها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار التي أخذت منها ، وربما حرفوا بعض ألفاظها .

رد ابن هشام على الزبيدي :

تضمن رد ابن هشام على أبي بكر الزبيدي خمسا وستين فقرة من فقر كتاب لحن العامة ، الذي يضم نحو أربعين وأربعمائة حالة من حالات اللحن .

وجهره هذا الرد مؤسسة على الاختلاف بين الزبيدي وابن هشام في القياس الصوابي لكل منهما . فالزبيدي متشدد بحكم بالخطأ على ما لم يكن فصيحاً وإن جاءت به لهجة من لهجات العرب ، وابن هشام يتوسع في دائرة الصحة اللغوية ، ويعد صحيحاً كل ما جاءت به لهجة من لهجات العرب ، ولو كانت ضعيفة ، وكل ما رواه لغوي ولو كان منفرداً بروايته .

وهذه أمثلة من رد ابن هشام توضح هذا المسلك :

١ — أخذ الزبيدي على العامة قولهم : أكنيته فهو مُكْنَى ، وذكر أن الصواب : كَنَيْتَهُ فهو مَكْنَى وَكُنَيْتَهُ فهو مُكْنَى . فكان رد ابن هشام : إن أكنيته فهو مُكْنَى ليست بالفصيحة إلا أنها ليست بخطأ ولا يجب أن تلحن بها العامة لكونها مسموعة . ومن اتسع في كلام العرب ولغاتها لم يكد يلحن أحداً ، ولذلك قال أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (الأخفش الأكبر) : « أنهى الناس من لم يلحن أحدا » . وقال الخليل ، رحمه الله : « لغة العرب أكثر من أن يلحن متكلم » . وروى الفراء

أن الكسائي قال : « على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل » ^(١) .

٢ — خطأ الزبيدي عامة عصره في قولهم : امرأة سكرانة ، وبين أن الصواب : سَكْرَى . ولكنه لا يُغْفَل ما روى أن بني أسد كانوا يقولون سكرانة ، ومع ذلك لم يأخذ بما روى عنهم لأن لبني أسد مناكير ولا يؤخذ بها .

وكان رد ابن هشام : « فإذا قالها قوم من بني أسد فكيف تلحن بها العامة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قبائل العرب » ^(٢) .

٣ — أخذ الزبيدي على العامة قولهم للكمثرى : إجَّاص . والإجَّاص ضرب من المشمش . فكان رد ابن هشام : روى أبو حنيفة الديوري أن أهل الشام يقولون للكمثرى : إجَّاص ، وإذا كانت لغة شامية فكيف تلحن بها العامة ؟ ^(٣) .

٤ — رأى الزبيدي — كغيره من اللغويين الذين يتوخون الفصاحة — أن غَلَقَت الباب (ثلاثياً) خطأ . والصواب أغلق . فرد عليه ابن هشام بقوله : « قد حكى ابن دريد فيه غَلَقَت ، وهي لغة ضعيفة . والأفصح في ذلك غَلَقْتُ ، قال الله تعالى : (وَغَلَقَتِ الأبوابَ) ثم أغلقت ، ثم غلقت — وإن كانت ضعيفة — فلا يجب أن تلحن بها العامة » ^(٤) .

(١) انظر الفقرة رقم ٢٦ من هذا الرد .

(٢) الفقرة رقم ٤٣ .

(٣) الفقرة ١٥ .

(٤) الفقرة رقم ٣٦ .

٥ — أخذ الزبيدي على العامة قولهم لريحانة طيبة الريح : نَعْنَعُ : وذكر أن الصواب نَعْنَعُ (بضم النونين) . ولا ينسى الزبيدي أن يشير إلى أن بعض اللغويين روى نَعْنَعاً بفتح النونين — كما تقول العامة — إلا أن الأفصح عنده هو الضم .

وواضح من هذا أن الزبيدي يعرف اللغتين ، ويروى الروايتين ، ولكنه يأخذ بالأفصح ويخطئ ما عداه . ولكن ابن هشام يتعقبه قائلا : « وإذا كان في الكلمة لغتان وكانت إحداها أفصح من الأخرى ، فكيف تلحن بها العامة ، وقد نطقت بها العرب . وإنما تلحن العامة بما لم يتكلم به ^(١) » .

٦ — وأحيانا يتناول الرد بعض القضايا التي يشير بها الزبيدي في رده . ومن ذلك أن الزبيدي — وهو يخطئ استعمال العامة لكلمة « الصَّارِي » في معنى عود الشَّرَاع — قد غَلَطَ الأصمعيَّ في قوله إن صُرَّاء جمع لصارٍ على غير قياس . وزعم الزبيدي أن هذا الجمع قياسيُّ وأنه نظير قائم وقوَّام ، وصائم وصوَّام ، وضارب وضَّرَّاب . فكان رد ابن هشام — ومعه الحق — أن الأصمعيَّ إنما بنى على الجمع المهود في فاعل المعتل اللام وهو مخصوص بفُعْلة أو فَعَّل نحو ماشٍ ومُشاة ، وقاضٍ وقضاة ، ورامٍ ورُماة ، وغازٍ وغُرَّي ، وعافٍ وعُفَى ، وإنما كان ينبغي أن يكون صُرَّاء على أحدها ، فلما لم يأت على أحدها جعله شاذًّا . قال : « وقول أبي بكر إن فعَّالاً من الأبنية التي تكون جمعا لفاعل إنما ذلك في البناء الصحيح اللام نحو ضارب وضَّرَّاب وقائم وقوَّام وصائم وصوَّام . وأما من بناء ماشٍ وقاضٍ فلم يأت إلا شاذًّا نحو صُرَّاء ^(٢) » .

(١) الفقرة رقم ٥٥

(٢) الفقرة رقم ٣٩

٧ — وبينما نرى ابن هشام متساهلاً يلتبس لما يقوله العامة وجهاً في اللغة ، نراه متشددًا مع صاحبه لا يغفر له استعماله لفظاً ليس بالأفصح . فيورد له الأفصح^(١) ، أو استشهاده ببيت لشاعر محدث فيورد له بدلاً عنه^(٢) ، أو ذكره جزءاً من حديث فيكمله له^(٣) ، أو إغفال وجه من الأوجه الجائزة في الكلمة فينبه إليه^(٤) ...

ومهما عددنا هذا الرد خلافاً في نظرة كل من العالمين الجليلين إلى الصواب اللغوي ، فإن في رد ابن هشام دلالة على سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، وإحاطته بكثير من لهجات العرب ، وروايات اللغويين الذين نقل عنهم في هذا الجزء الذي لا يتجاوز ثلاث عشرة ورقة .

وإني إذ أقتصر الآن على نشر هذا الجزء ، أرجو أن تتاح لي فرصة نشر الكتاب كاملاً ، إن شاء الله .

عبد العزيز مطر

(١) الفقرة : ٢٢

(٢) الفقرة : ٤٢

(٣) الفقرة : ٥٧

(٤) الفقرة : ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ - ب)

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم^(١)

عو نك اللهم^(٢)

قال الفقيه الأستاذ الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام ، عفا الله عنه :
الحمد لله قبل كل مقال ، وتالي لكل فعال . وصلى الله على محمد وعلى آله ،
خير آل . وبعد ، فإنه أول ما يجب على طالب اللغة تصحيح الألفاظ العربية
المستعملة ، التي حرقها العامة عن موضعها ، وتكلمت بها على غير ما تكلمت
بها العرب في نادیها ومجتمعاتها . فإذا صححها وأزال منها التحريف ، ونفى عنها
التصحيف ، وأقامها كالقِدْح في التنقيف ، ولفظ بها كما لفظت بها العرب
في المشتاة والخريف ، والمرجع والمصيف ، كان ما وراء ذلك عليه أقرب ،
وأسهل للطلب .

ولقد شهدت بعض من ينتمى — بزعمه — إلى الأدب ، وينسِل إليه
من كل حدب ، وقد استعمل في كلامه : « الخربز »^(٣) فسأله بعض الحاضرين

(١) في نسخة م : صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

(٢) ليست في م

(٣) الخربز بوزن زبرج ، معرب عن الفارسية أو هو عربي صحيح (القاموس)
وهو اسم للبطينخ الأصفر .

عنه ، فقال ، « البَطِّيخ » بفتح الباء^(١) . وهذا من أقبح القبيح أن يستعمل اللغة الغربية ، وقد قصر عن تصحيح المستعملة القريبة .

وَألف الزبيديّ — رحمه الله — في لحن عامة زمانه^(٢) ، وما تكلمت به في أوانه ، فتعسف عليهم في بعض الألفاظ ، وأنحى عليهم بالإغلاظ ، وخطأهم فيما استعمل فيه وجهان ، وللعرب فيه لغتان .

فأوردت في هذا الكتاب جميع ذلك ، وما تعسف عليهم هنالك ، وينت ما وقع في كلامه من السهو والغلط ، والتعنيث^(٣) والأشطّط . وأردفته بذكر أوهام ابن مكي في كتابه المسمى : « تثفيف اللسان وتلقيح الجنان » ، وابتدأت بالرد عليهما فيما أنكراه ، وأضفت إلى ذلك كثيراً مما لم يذكره ، مما غُيّر في زماننا ، ولحنت فيه عوامنا . وجعلت هذا الكتاب مدخلا إلى تقويم اللسان ، وتعليم الفصاحة التي هي جمال الإنسان مدخلا إلى تقويم اللسان ، وتعليم الفصاحة التي هي جمال الإنسان . ومن الله أسأل العصمة من الخطأ والزلل ، في القول والعمل ، إنه سميع مجيب .

(١) أى والصواب بكسر الباء .

(٢) يعنى كتابه لحن العامة الذى نشرناه محققا فى صدر هذا الكتاب .

(٣) نسخة م . التعنيث .

١ - آله

قال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، رحمه الله :

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ . والصواب : اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ^(١) » .

قال الرادّ : هذا الذي ذكر هو مذهب الكسائي ، وهو أول من قاله ، فاتبعه هو وأبو جعفر النحاس ، على رأيه . وليس بصحيح ، لأنه لا قياس له يعضده ، ولا سماع يؤيده (٢ - ١) لأن إضافة « آل » إلى المضر قد وردت به عن العرب الأخبار ، ونطقت به الأشعار . فن ذلك ما روى أبو العباس المبرد في « الكامل » ^(٣) أن رجلاً من أهل الكتاب ورد ^(٤) على معاوية ، فقال له معاوية : أتجد نعتي في شيء من كتب الله ؟ فقال ^(٥) : إى والله ، حتى لو كنت في أمة لوضعت عليك يدي من بينها ^(٦) . قال : فكيف تجدني ؟ قال : أجذك أول من يحول الخلافة ملكاً ، والخشونة ^(٧) ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ^(٨) . قال : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شراب

(١) لحن العامة : ٤٩ من تحقيقنا .

(٢) ٢٣٣/٣

(٣) في الكامل : وفد

(٤) في الكامل : قال

(٥) في الكامل : من بينهم

(٦) في الكامل : والخشونة . ومثله في الاقتضاب : ٧

(٧) في الكامل : قال معاوية فسرى عني ، ثم قال : لا تقبل هدامي ؛ ولكن من

نفسك . فاجتنب هذا الخبر .

للخمر ، سَفَاكٌ للدماء ، يَحْتَجِنُ الأموال ، وبصطنع الرجال ، وَيُجَنَّبُ
 الْخِيُولُ^(١) ، وَيُبَيِّحُ حرمة الرسول . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكون فتنةٌ
 تشعب بأفوام ، حتى يَفْضِيَ الأمر بها إلى رجل أعرف نفعه ، يبيع الآخرة
 الدائمة ، بحظ من الدنيا مخسوس ، فيجتمع عليه من آلاك ، وليس منك .
 لا يزال لعدوه قاهراً ، وعلى من نأواه ظاهراً ، ويكون له قرين مُبِيرٌ آبين .
 قال : أفترفه إن رأيت ؟ قال : شدَّ ما . فأراه من بالشام من بنى أمية . فقال :
 ما أراه ها هنا فوجه به إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فإذا بعبد^(٢) الملك بن
 مروان يسمى مؤزراً ، في يده طائر . فقال للرجل : ها هو ذا . ثم صاح به :
 إلى أبو من ؟ قال : أبو الوليد . قال : يا أبا الوليد إن بشرتك ببشارة تسرك
 ما تجعل لي ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها^(٣) من الجعل ؟
 قال : أن تملك الأرض . قال : مالي من مال . ولكن رأيت إن تكلفت لك
 جعلاً أنال ذلك قبل وقته ؟ قال : لا . قال : فإن حرمتك ، أتؤخره عن
 وقته ؟ قال : لا . قال : حسبك^(٤) ما سمعت .

هكذا روى أبو العباس وغيره هذا الخبر : من آلاك وليس منك ، بإضافة
 « آل » إلى السكاف . وأبو العباس من أئمة اللغة المشهورين بالحفظ والضبط .

وقال عبد المطلب ، حين جاء أبرهة الأشرم ، لهدم الكعبة :

لَا هُمْ إِنِ المرءِ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالَكَ^(٥)

(١) في المخطوط : ويجند الجند . وما أثبتناه من « الكامل » والاقضاب : ٧

(٢) في الكامل : فإذا عبد الملك

(٣) في نسخة الأصل . ما مقدارها . وما أثبتناه من الكامل ونسخة م .

(٤) في الكامل : خسيك .

(٥) اللسان (حلل) ونسب لعبد المطلب .

لا يَفْلِيَنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ عَذْوًا مِحَالَكَ^(١)

فَانصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيبِ وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَاكَ^(٢)

يعنى قريشاً ، لأن العرب كانوا يسمونهم : « آل الله »^(٣) لكونهم أهل البيت ، وقال الكمي :

فأبلغ بنى الهند بن من آل وائل وآل مناة والأقارب آلهما
ألو كما تنال ابني صفة وانتجع سواحل دُعَى بها ورمالها^(٤)

(٢ - ب) وقال خفاف بن ندبة :

أنا الفارسُ الحامي حقيقة والدي وآلى كما تحمى حقيقة آلكا^(٥)

(١) اللسان (محل) ونسب لعبد المطلب .

(٢) في نسخة م هامش نصه : « قال ابن هشام مذهب السيرة لابن إسحاق : هذا ما صح لي منها ، ولم يصحح البيت المستشهد به لعبد المطلب » وقد تبين لي صحة هذا التعليق فإن ابن هشام لم يورد بيت الشاهد . ولكن السهلي أوردته في الروض الأنف : ٤٠/١ وقال : وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل : وهو « وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلَكَ » قال : وفيه حجة على النحاس والزبيري ، حيث زعما - ومن قال قولها - إنه لا يقال : اللهم صل على محمد وعلى آله .

(٣) في ثمار القلوب : ١٠ « أهل الله » وفيه : وسمى محمد بن عبد الملك بن صالح « ابن آل الله » .

(٤) البيتان في الاقتضاب : ٧ ورواية الأول فيه :

فأبلغ بنى رهند بن بكر بن وائل وآل مناة والأقارب آلهما
وفي البيت الثاني : نواي ، بدل : تنال . وفي المخطوطة : مناة الأقارب .

(٥) البيت في الاقتضاب : ٨ وهو في الأغاني : ٩١/١٥ ضمن ثمانية أبيات لخفاف ابن ندبة : رواية أخرى :

أنا الفارس الحامي الحقيقة والنبي به أدرك الأبطال قدماً كذلك

قال الأستاذ أبو محمد بن السَّيد^(١) — رحمه الله — : « قال أبو الطيب المتنبي ، وإن لم يكن حُجَّةً في اللغة :

والله يُسَعِّدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ^(٢) »

وأبو الطيب ، وإن كان ممن لا يحتاج به في اللغة ، فإن في بيته هذا حجة من جهة أخرى ، وذلك أن الناس عُنُوا بانتقاد شعره ، وكان في عصره جماعة من اللغويين والنحويين ، كابن خالويه ، وابن جني ، وغيرهما . وما رأيت أحداً منهم أنكر عليه إضافة « آل » إلى المضمَر . وكذلك جميع من تكلم في شعره من الكتاب والشعراء ، كالوحيد^(٣) ، وابن عَبَّاد^(٤) ، والحامِي^(٥) ، وابن وَكيع^(٦) ، لا أعلم لأحد منهم اعتراضاً في هذا البيت . فدل هذا على أن هذا لم يكن له أصل عندهم ، فلذلك لم يتكلموا^(٧) فيه . و « آل » أصله

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السَّيِّد البَطْنِيَّيْيُوسِي ، اللغوي النحوي ، نزيل بلنسية ، وشارح ديوان المتنبي ، وأدب الكاتب ، وسقط الزند ، وغيرها ت ٥٢١ هـ . (قلائد العقبان : ١٩٣ وبغية الوعاة ٢ / ٥٥) . والنص في كتابه « الاقتضاب » : ٨ . (٢) ديوان المتنبي : ٣ / ٢٣٠ .

(٣) هو سعد بن محمد بن علي بن الحسن بن سعيد بن مطر . كنيته أبو طالب ، ولقبه : الوحيد ، كان متقدماً في اللغة والنحو والعروض . له شرح ديوان المتنبي . ت ٣٨٥ هـ . (بغية الوعاة ١ / ٥٨٠) . وفي الاقتضاب : الواحدى . وله أيضاً شرح ديوان المتنبي . (٤) إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني ، أبو القاسم ، الوزير ، الملقب بالصاحب . شاعر ، أديب ، لغوي . من مؤلفاته : الكشف عن مساوئ المتنبي ، المحيط باللغة ، رسائل الصاحب ، ديوان الصاحب . ت ٣٨٥ هـ . (بغية الوعاة ١ / ٤٤٩) .

(٥) محمد بن الحسن بن المظفر الحامِي ، أبو علي البغدادي ، من أهل اللغة والأدب ، وله مؤلفات منها : الرسالة الموضحة في مساوئ المتنبي . ت ٣٨٨ هـ . (بغية الوعاة ١ / ٨٧) (٦) ابن وكيع التنيسي ، الحسن بن علي الضبي ، شاعر أديب ، أصله من بغداد وولد وتوفي بمصر (ت ٢٩٣ هـ) له ديوان شعر . و « المنصف في سرفات المتنبي » (وفيات الأعيان ترجمة رقم ١٦٣) .

(٧) في الاقتضاب : يتكلموا .

« أهل » ثم أبدلوا من الهاء همزة ، فقليل « آل » ثم أبدل من الهمزة ألف ، كراهية لاجتماع همزتين ، ودل على ذلك قولهم في تصغيره : « أهيل » فردوه إلى أصله^(١) . وحكى الكسائي في تصغيره « أويلاً »^(٢) وهذا يوجب أن يكون ألف « آل » بدلا من واو ، كالآلف في باب ودار .

٢ - ذاته ، الذات

وقال أيضاً : « ولا يجوز أن تدخل الألف واللام على ذى ولا ذات في حال إفراد ولا تنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع أبداً مضافةً إلى الظاهر »^(٣) .

قال الراي : هذا الذى ذكر يوجب القياس ، لأنها إنما تذكر ليتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأجناس ، كقولك : مرت برجل ذى مال ، وذى علم ، وذى كرم . والمضمر ليس بجنس ، فكان يجب ألا تضاف^(٤) إليه . وكذلك كان حقها ألا تفرد . وألا يدخلها الألف واللام . إلا أنه قد سمع ذلك من العرب ، ممن يحتج بقوله ، ويرجع في اللغة إليه . وما تكلمت به العرب ، ووقع في أشعارها وأخبارها ، ونقله أهل الثقة عنها ، لا تلحن به العامة ، وإن قلّت شواهد ، وضعف قياسه ، قال الأحوص :

(١) اللسان (أهل) .

(٢) رواء الفراء عن الكسائي اللسان : (أول) .

(٣) النص في لحن العامة : ٤٧ ، ٤٨ ، بخلاف إلا في قوله : « ولا يجوز أن تلحق الألف واللام ذو ولا ذات » بدل « تدخل على ذى » الواردة هنا .

(٤) م : ألا يضاف .

وإننا لَنرجُو عاجلاً مِنكَ مثَلما رَجونا قَدِماً مِن ذَوِيكَ الْأَوائلِ^(١)
فأضاف « ذوى » وهو جمع « ذى » إلى المضمر .

وقال كعب بن زهير :

صَبَحْنَا انْخِرَازَ جِيَّةٍ مُرَهَقَاتٍ أَبَادَ^(٢) ذَوَى أَرْوَمِهَا ذَوُوهَا^(٣)
وأنشد أبو على :

إنما يصطنع المعروفَ في الناسِ ذَوُوهُ
أهنأُ المعروفِ ما لم تُبَدِّلْ فيه الوجُوهُ^(٤)

وأدخل سيبويه بيت (٣ — ١) الكميت شاهداً على جمع ذى جمع
السلامة ، وإفراده من الإضافة ، وإلزامه الألف واللام ، وهو :

فلا أعني بذلك أسفليكمُ ولكني أريدُ به الذَّوينا^(٥)

(١) اللسان : ٣٤٦/٢٠ (منسوب) وروايته فيه :

ولكن رجونا منك مثل الذى به صُرفنا قديماً من ذوىك الأوائل
(٢) في هامش نسخة م : أبار .

(٣) شرح الديوان : ٢١٢ بنصه ، واللسان (ذو) وفيه : أبار .

(٤) البيتان لأنى التناهيّة وأوردهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار : ٣ / ١٩٤ فى ستة
أبيات ، والبيت الثانى فيها سابق الأول . ورواية الأول :

إنما يعرف الفضل من الناس ذووه

وهذا البيت كما أورده ابن هشام هنا ، فى اللسان ٣٤٦/٢٠ .

(٥) البيت فى كتاب سيبويه : ٢ / ٤٣ والخزانة ١ / ٦٧ ، وطبقات الشعراء لابن
المعتر : ١٩٧ والصحاح ٦ / ٢٥٥٢ والشطر الثانى فى لحن العامة للزبيدي : ٤٩ ، وفى هامش
نسخة م : تعليق على كلمة « الذَّوينا » نصه : يريد الأذواء ، وم ملوك البن المسمون
بذى يَكن ، وذى جسدن ، وذى نُواس . فإذا كان علماً جاز جمعه بالواو والتون ،
أو بالتكسير فهو بمنزلة المضاف . وإنما الشذوذ فيه قطعه عن الإضافة .

وقال أبو العباس المبرّد في بعض أبواب كتابه المسمى بـ « الكامل » :
« باب الأذواء من اليمين » ^(١) فأتى به مجموعاً جمع التفسير ، معروفاً بالألف
واللام ، وهو من أهل اللغة المحتج بقوله ، لرسوخه فيها وثقته ، وحاشا أن
يُدخل في كتابه ، أو يبوّب على باب من أبوابه ، ما لم تستعمله العرب
في مقاماتها ، ولا عرف من لغاتها ، وهو من أئمة النحويين واللغويين غير
مُدافع ، في فصاحته وبلاغته ، وحسن عبارته ، ومن قرأ كتبه ووقف
على ما ألقه عرف ذلك يقيناً ، إن كان له بصَرٌ يهديه ، وبصيرةٌ ترشده .
وما التوفيق إلا بالله [تعالى] ^(٢) .

٣ — السطل

وقال أيضاً : « ويقولون للإِناء المتَّخذ من الصُّفَرِ : سَطْل .
والصواب : سَيْطَل ، على مثال فَيْعَل » ^(٣) .

قال الرادّ : قال الخليل بن أحمد — رحمه الله : « السَّطْل » ^(٤) : الطُّسَيْسَةُ
الصغيرة . ويقال إنه على صيغة ^(٥) تَوَر ^(٦) ، وله عُرْوَةٌ كعُرْوَةِ المِرْجَل ، ويقال
له السَّيْطَل ^(٧) أيضاً ، فبدأ بما أنكره أبو بكر الزُّبَيْدِي ، في كتابه ، ولَحَنَ

(١) الكامل : ٤ / ١٠٠ باب ذكر الأذواء من اليمين في الإسلام .

(٢) من نسخة م .

(٣) لحن العامة : ١٠٢ ينصه .

(٤) اللسان (سطل) : السيطل .

(٥) في اللسان : صفة .

(٦) إناء يشرب فيه .

(٧) في اللسان : والسطل مثله . ولم ينسب هذا القول للخليل .

فيه عامة زمانه ، ثم أتبعه باللغة الأخرى . وقال ابن سيده أيضاً في كتابه
« المحكم » : « السَّطْلُ عربي صحيح ، والجمع سَطُول »^(١) .

وقال أبو بكر أيضاً في آخر هذا الفصل من كتابه « لحن العامة »^(٢) :

« وسألت عنه^(٣) أبا علي فقال : هو دخيل في كلام العرب » .

قال الراذ : وإذا كان دخيلاً في كلام العرب ، وتكلمت به ، فلا معنى
لإنكاره على من تكلم به . وهذا الذي قاله أبو علي في السَّطْل قد قال مثله
ابن دريد في السَّيْطَل ، ولكنه صرَّح بأن العرب تكلمت به .

قال ابن دريد — رحمه الله : « السَّطْل والسَّيْطَل أعجميان ، وقد تكلمت
بهما العرب »^(٤) .

٤ — ح — ير

وقال أيضاً : « ويقولون للحظيرة تكون في الدار : حَيْر . والصواب
حائر »^(٥) .

قال الراذ : قال الخليل بن أحمد : « الحائر حَوْضٌ يُسَيَّبُ إليه مَسِيلُ
الماء من الأمطار ، يسمى بهذا الاسم بالماء وغيره »^(٦) . وبالبصرة حائر الحجاج

(١) في اللسان : والسطل مثله ، والجمع سَطُول ، عربي صحيح . والسبطل لغة فيه .

(٢) ص : ١٠٣

(٣) أي عن السطل . والذي ورد في كلام أبي علي في « المقصور والمدود »
(ورقة ٤٣ — أ) عند تعريف الملاوة هو السبطل . وعنه نقله الزبيدي . وكلام ابن هشام
هنا يدل على أن السؤال عن السطل لا السبطل .

(٤) الجهرة : ٣ / ٢٧ بنصه . وفي نسخة م : به ، بدل بهما .

(٥) لحن العامة : ١٣٩ ، ١٤٠ وفيه « للحظيرة تكون » ومثله في النص الذي نقله
صاحب خزنة الأدب : ١ / ٤٥٨ وفي الأصل : للحظير يكون .

(٦) وغيره : لم تذكر في اللسان والسياق يدل على وجودها .

معروف ، يابس لاء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحَيْر ، كما يقولون لعائشة :
عَيْشَة ، يستحسنون التخفيف وطرح الألف ،^(١) .

قال الرادّ : يعنى الخليل بقوله : « وأكثر الناس يسميه الحَيْر » :
العرب . والدليل على ما قلناه تعليقه لذلك ، لأن غير العرب لا يلتفت
لكلامهم فكيف يعمل . ومن الدليل على ذلك أيضا قوله : « كما يقولون
لعائشة عَيْشَة » والذين يقولون لعائشة : عَيْشَة ، هم العرب .

وقد جاء ذلك فى أشعارهم الفصيحة . قال الشاعر ، وهو رجل
من (٣ - ب) بنى تميم لعمر بن عُبيد الله بن معمر :

انْبِذْ بِرْمَلَةٍ نَبَذَ الْجَوْرَبِ الْخَلَقِ وَرِشَ بَعِيشَةٍ عَيْشًا غَيْرَ ذِي رَنْقٍ^(٢)

يعنى « رملة » أخت طلحة الطلحات ، و « عائشة » بنت طلحة
ابن عُبيد الله^(٣) . وإذا حكى الخليل أن أكثر الناس يسميه الحَيْر ،
ويعمل ذلك ، فكيف تلحن به العامة ؟

ثم قال أبو بكر فى آخر هذا الفصل : « وقد روى أبو عُبيد عن أبى عمرو
الشيبانى ، فى بيت رؤبة ، وهو :

(١) النص فى اللسان (حير) .

(٢) جهرة ابن دريد : ٣٦٠/٢ والمرب : ١٠١ وتنقيف اللسان : ٢٣٢ وجاء
فى الأغاني : ١٨٦/١١ برواية :

انعم بمائش عيشاً غيرَ ذى رَنْقٍ وانْبِذْ بِرْمَلَةٍ نَبَذَ الْجَوْرَبِ الْخَلَقِ

(٣) كانت رملة بنت عبيد الله بن خاف بن أسعد بن عامر الخزاعى ، زوجا لعمر بن
عبد الله بن معمر ، أما عائشة فهى بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن كعب
بن سعد التميمى . وأما أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن
أبى بكر ، ثم مصعب بن الزبير . ثم عمر بن عبد الله بن معمر (الأغاني ١٨٦/١١)
و ١٨٠ و ١٨٦ و ١٨٧) .

حتى إذا ما احتاج حيرانُ الذَرْقُ^(١)

قال : حيران جمع حير^(٢) . فأثبت آخرًا ما نفاه أو لا^(٣) ، وأتى بالحجة على نفسه .

٥ - ضويرة

وقال أيضا : « ويقولون في تصغير ضئعة : ضويرة ، ويجمعونها على ضيع .

والصواب : ضئيمة وضئعة إن شئت ، والجمع ضياع »^(٤) .

قال الرادّ : أما إنكاره التصغير فصحيح ، على مذهب البصريين ، وغير صحيح على مذهب الكوفيين ، لأنهم أجازوا قلب هذه الياء واوًا ، لانضمام ما قبلها ، فيقولون في ضئعة : ضويرة . وسيأتى الكلام على هذا الفصل ، مستوفى فيما بعد ، إن شاء الله . وأما إنكاره الجمع فغير صحيح ، لأن العرب تجمع « فَمَلَّة » في الكثير على « فِمال »^(٥) نحو جَفْنَة وجِفان ،

(١) الرجز في اللسان والصحاح (ذرق) والمنجد لكرام : ٣٢٣ .

(٢) النص في لحن العامة : ١٤١ . ورواية أبي عبيد في اللسان (حير) ونصه : ولا يقال حير ، إلا أن أبا عبيد قال في تفسير قول رؤبة . الحيران جمع حير لم يقلها أحد غيره ولا قالها هو إلا في تفسير هذا البيت .

(٣) في هامش نسخة م : بل ما يوافق كلام العامة . وكثيراً ما تفعل أنت ذلك .

(٤) لحن العامة : ١٨٠ مع تفصيل في العبارة الأخيرة حيث يقول : « والصواب ضئعة وإن شئت قلت : ضئيمة ، بكسر أوله ، وكذلك كل ما كان أصله الياء من هذا المثال ونحوه ، والجمع ضياع » .

(٥) هذا الجمع لم ينكره الزبيدي ، والمعروف أن التكسير على « فِمال » يطرد في كل ما كان على فَمَلٍّ وفَمَلَّة اسمين أو وصفين . ولكنه قليل فيما كانت عينه ياء نحو ضيف وضياف ، وضئمة وضياع (شرح ابن عقيل ٤٦٣/١) والخلاف بين الزبيدي وابن هشام إنما هو في جمع ضئيمة على ضيع .

وقَصْعة وقِصاع ، وصَحْفة وصِفاف . وبنات الباء والواو بهذه المنزلة ، نحو ظُبية
 وظباء ، وركوة وركاء . وكذلك ما اعتلت عينه ، نحو عَيْبة وعياب ،
 وضيعة وضياع . ويجمعونها أيضاً على فَعْل وإن كان جمعاً عزيزاً ، نحو بَدرة
 وبدر ، وبَضْعة وبِضْع^(١) ، وهَضْبة وهِضْب^(٢) ، وحَلْقة وحِلَق^(٣) .
 وقالوا أيضاً في المعتل العين : ضَيْعة وضِيع ، فلا معنى لإنكاره مع نطق
 العرب به ، وإن كانت لغة قليلة ، قال ابن سيده في « المحكم » : « الضَيْعة
 الأرض المُغَلَّة والجمع ضِيع وضِيع »^(٤) .

٦ - بَنِيقة

وقال أيضاً في باب « ما تضعه العامة غير موضعه » : « ويقولون بَنِيقة
 للقطعة من الشُّقَّة تخاط بجَنْب القميص . والبَنِيقة لِبنَةِ القميص التي فيها
 الأزرار »^(٥) .

قال الراذ : أما تخصيصه البنية بِلبنَةِ القميص فوهم . قال الخليل
 — رحمه الله — البنية : كل رُقعة في الثوب نحو اللبنة وما يشبهها ، والجمع
 البنائق . واحتج بيت « نصيب » وهو :

(١) في الصحاح (بضع) : الجمع بضع مثل تمر وتمر . وبعضهم يقول : جمعها
 بِيضْع ، كبدر ويدر .

(٢) الصحاح (هضب) : الهَضْبَةُ المطرة والجمع هَضْب مثل بدر ويدر .

(٣) في الصحاح (حلق) : حلقة الباب وحلقة القوم ، والجمع الحلق (بفتحتين) على
 غير قياس . وقال الأصمعي : الجمع الحلق (بكسر ففتح) مثل بدر ويدر وقصعة وقصع .

(٤) المحكم : ١٥٥/٢ وزيد فيه : « فأما ضيع فكأنه إنما جاء على أن
 واحدته ضيعة ، وذلك لأن الباء مما سبيله أن يأتي تابعاً للكسرة ، وأما ضياع
 فعلى القياس » .

(٥) لحن العامة : ٢٠١ بنصه

سَوَدْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ سَوَادِي وَتَحْتَهُ قَمِيصٌ مِنَ الْقُوْهِ بَيْضٌ بَنَائِقُهُ^(١)

ولم يرد نصيب لبَنَ القميص فقط كما ظن أبو بكر . وإنما أراد رقا ع القميص كلها ، وبهذا صح المعنى . وأما البيت الذى احتج به وهو (٤ - أ) .

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقِ^(٢)

فلا حجة له فيه ، لأن البنائيق هنا اللَّبَن ، وهى إحدى رقا ع القميص ، كما قدمنا . وليس فى البيت دليل على أنه لا يقال بَنَائِقَةٌ إِلَّا لِلْبَنَةِ القميص فقط .

وقال ابن دريد : بنائيق القميص هى التى تسمى الدُّخَارِيص ، والواحدة دِخْرُصَةٌ ، فارسى معرب^(٣) . قال ابن سيده : الدخاريص من القميص والدرع :

(١) البيت فى الأمالى ١٢٧/٣ (منسوب) وفيها : ٨٨/٢ برواية : كسيت ولم أملك سواداً . وفى اللسان (قوه) قال : أنشد ابن برى لنصيب . وهو أيضاً فى الخصائص ٢١٦/١ وجاء فى الأغانى ٣٥٤/١ ضمن ثلاثة أبيات لنصيب وروايته :

وما ضرأتوا بنى سوادى وتحتها لباس من العلياء ببيض بنائقه

(٢) البيت لمجنون ابلى ، وهو فى لحن العامة ٢١١ (بتحقيقنا) وهذه الرواية بلا خلاف فى ديوان المعانى ٣٤٦/١ والمخصص : ٨٥/٤ واللسان (بنق) وتثقيف اللسان ٢٠٢ والمنجد لكرام : ٨٩ .

وهو فى ديوان المجنون : ٢٠٣ وروايته :

يضم على الليل أطراف حبكم كما ضم أطراف القميص البنائيق

ومثله فى الأغانى ٦١/٢ أما فى نهاية الأرب : ٦٣/٢ فنسبه إلى ابن ميادة ، وروايته :

يضم إلى الليل أذبال حبها كما ضم أردان القميص البنائيق

(٣) فى الجهرة : ٣٢٣/١ : وبليمة القميص هى التى تسمى التخارص والدخاريص بالبدال ، والواحدة دخرصة ، والجمع بنيق وبنائيق ، فارسى معرب . وراجع أيضاً : ٣٣٠/٣ من الجهرة .

ما يوصل به البدن ليوسعه ، واحدها دُخْرَصَة ودُخْرِيس ^(١) .
قال الراد : والذي يوصل به البدن ليوسعه هو الذي تقول له العامة :
البنائيق ، فلم يضعوا إذاً الشيء في غير موضعه ، على هذا القول .

٧ - غرنوق

وقال أيضاً : « ويقولون للطائر : غرنوق . والغرنوق والغرنوق والغرائق
الرجل الشاب الناعم . فأما الطائر فهو الغرنيق ^(٢) .

قال الراد : قد حكى الخليل أنه يقال لواحد الغرائيق التي هي طير الماء
غُرنِيقٌ وغُرنُوق ، بضم الغين والنون . وحكى مثل ذلك أبو حاتم في « كتاب
الطير » ^(٣) . وقال ابن سيده في « المحكم » : الغُرنُوق والغُرنِيق طائر أبيض ،
وقيل هو طائر أسود من طير الماء ^(٤) .

وما جاء فيه عن العرب لغتان فلا معنى لتأخير العامة به . وحكى السيرافي
أيضاً أن الغُرنِيق السريع .

وذكر سيبويه الغُرنِيق في بنات الأربعة . وذهب إلى أن النون فيه أصل
لا زائدة ^(٥) .

(١) اللسان (دخرس) : والدخرصة والدخريص من القبيص والدرع ، واحد
الدخاريص ، وهو ما يوصل به البدن ليوسعه .

(٢) لحن العامة : ٢٢١ وليس فيه : والغرنوق ، وقد أضفناها في تحقيقنا نقلاً عن
ابن هشام .

(٣) نقل عنه ابن السيد في الاقتضاب : ١١٠ والبغدادى في خزنة الأدب ٣٩٤/١
— ٨٣/٣ ، ٢٠٦ — ٣٠٠/٤ والمعنى في شرح الشواهد ٤٥٧/٤

(٤) اللسان (غرنق) وزاد فيه : طويل العنق .

(٥) اللسان (غرنق) قال ابن جني : وذكر سيبويه الغرنيق في بنات الأربعة ،
وذهب إلى أن النون فيه أصل لا زائدة ، فسألت أبا علي عن ذلك فقلت له : من أين له =

قال الراذ : فأما الرجل الشاب فيقال في صفته : غُرْنُوقٌ عَلَى وَزْنِ
فُرْفُور^(١) ، وَغِرْنِيقٌ عَلَى وَزْنِ قِنْدِيل^(٢) ، وَغُرَانِقٌ عَلَى وَزْنِ عُذَافِر^(٣) ،
وَعَرَوْنَقٌ عَلَى وَزْنِ فِدُوكَس^(٤) ، وَغِرْنَانِقٌ عَلَى وَزْنِ سِرْبَال^(٥) .
وقال الراجز :

يَا لِرَجَالٍ لِلْمَشِيبِ الْعَانِقِ
غَبَّرَ لَوْنَ الشَّعْرِ الْغُرَانِقِ

وقال آخر :

لَا ذَنْبَ لِي كُنْتُ امْرَأً مُفَنَّقًا
أُغِيدَ نَوَامَ الضَّحَى غَرَوْنَقًا^(٦)

٩ - نبذة

وقال أيضاً : « ويقولون نَبْلَةً ، لواحد النَّبْلِ . وذلك خطأ ، لأن النَّبْلَ
عند العرب جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، مثل الْخَيْلِ وَالْغَنَمِ ، وواحد النَّبْلِ
سهمٌ أو قِدْحٌ ، كما أن واحد الخيل فرسٌ »^(٧) .

== ذلك ، ولا نظير له من بنات الأربعة يعاينها . . . فلم يزد في الجواب على أن قال :
قد ألحق به الملقى والإلحاق لا يوجد إلا بالأصول .

(١) الجهرة : ٣٨٣/٢

(٢) اللسان : (غرنق)

(٣) الجهرة : ٣٨٣/٣

(٤) اللسان : (غرنق)

(٥) اللسان : (غرنق)

(٦) اللسان : (فنق) بلا خلاف .

(٧) لحن العامة : ١٣٩ وتصحيح التصحيح : ٣٠٥

قال الراذ : قد حكى ابن جنى أن واحد النَّبِل نَبْلَةٌ ، فلا معنى لإنكارها على العامة وإن قلَّت^(١) .

١٠ - دَفَتَر

وقال أيضاً : « ويقولون : دَفَتَر بكسر أوله . والصواب : دَفَتَر بالفتح ، على مثال : فَعَلَل »^(٢) .

قال الراذ : قد جاءت عن العرب فيه لغات ، حكى بعضهم أنه يقال دَفَتَر ودَفَتَر ، بفتح الدال وكسرها ، وتَفَتَر^(٣) ، بإبدال الدال تاء .

١١ - قَنَفُط

وقال أيضاً : « ويقولون (٤ - ب) للدُّوَيْمَةِ المُلَبَّسَةِ الظهر بالشَّوْك : قَنَفُط . والصواب : قَنَفُذُو قَنَفُذ »^(٤) .

قال الراذ : قد حكى اللغويون قَنَفُط وقَنَفُط ، بالطاء ، فلا معنى لإنكارها على العامة . فأما قول عامة زماننا : قَنَفُود بزيادة واو بعد الياء ودال غير معجمة فلحن .

(١) في اللسان (نبيل) قال أبو حنيفة : وقال بعضهم واحدتها نبلة ، والصحيح أنه لا واحد له إلا السهم ، التهذيب : إذا رجموا إلى واحد (أى النبيل) قيل سهم .

(٢) لحن العامة : ١٦٨

(٣) في القاموس المحيط (تفتَر) : التفتَر لغة في الدفتر .

(٤) لحن العامة : ٩٢

١٢ - أنشدت المال

وقال أيضاً : « ويقولون : أنشدتُ المالَ في الأسواق . والصواب : أشدته .

قال يعقوب : أشدت بذكره ، ورفعت ذكره » ^(١) .

قال الرادّ : هذا تعسف على العامة ، بل جائز أن يقال : أنشدت المال في الأسواق ، إذا عرّفته ، كما تقول : أنشدت الضالة ، إذا عرّفتها ، لأن الضالة إنما هي كناية عما يضل من المال وغيره ، فلامعنى لإنكار هذا عليهم .

١٣ - وتد

وقال أيضاً : « ويقولون : وتد فيفتحون التاء . والصواب : وتد » ^(٢) .

قال الرادّ : قد حكى اللغويون في وتد ثلاث لغات ، وتد بكسر التاء ، وتَد بفتحها ، وودّ بالإدغام ^(٣) .

(١) ليس في مخطوطة لحن العامة ، وقد نقلناه في تحقيقنا عن تصحيح التصحيف للصفدي : ٨١ وأيدناه بما جاء هنا (ملحق تحقيقنا : ٢٥١) .

(٢) تصحيح التصحيف : ٣٢١ وملحق تحقيقنا : ٢٩٤

(٣) اللغات الثلاث في الصحاح (وتد) والأخيرة لغة أهل نجد (الصحاح ودد) .

١٤ - طابع

وقال أيضاً : ويقولون للطين الذى يُخْتَم به : طابع . والصواب : طابعٌ بالفتح ،^(١) .

قال الرادّ : حكى أبو العباس ثعلب وغيره من اللغويين أنه يقال للذى يُطَبِّع به : طابع وطابع بكسر الباء وفتحها^(٢) . فأما الرجل الذى يطبع فطابع بالكسر لا غير . قال الراد : ويقال للطابع أيضاً : مطبع ومُطَفَّق ، قال الأعشى :

ولا المَلِكُ النُّمَانُ يومَ لقيته بَأَمَّتِهِ يُعْطَى القُطُوطَ وَيَأْفَقُ^(٣)

١٥ - خرت

وقال أيضاً : « ويقولون لثَقْبِ الإبرة : خَرَّت . والصواب : خُرَّتْ الإبرة وخُرَّتْها »^(٤) .

قال الراد : قد حكى اللغويون : خَرَّتْ وخُرَّتْ ، بفتح الخاء وضمها .

(١) تصحيح التصحيف : ٢١٦ وملحق تحقيقنا : ٢٧٤

(٢) اللسان (طبع) : والطابع والطابع بالفتح والكسر الخاتم الذى يختم به ، الأخيرة عن اللحياني وأبى حنيفة .

(٣) البيت فى الديوان : ٢١٩ والصاحح (قطط) وفيه بقبضته ومثله فى الاقتضاب : ٩٣ بدل بأمته . والإامة النعمة ، والقطوط : الكتب والصكوك بالجائز ، وبأفق : يطبع ويختم .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٤٣ وملحق تحقيقنا : ٢٦١

قال ابن سيده : اُخْرِتْ وأُخْرِتِ الشَّقْبُ في الأذن وغيرها . والجمع أخرات
وخرُوت^(١) .

١٦ — إجاّص

وقال أيضا : « ويقولون للكُمَثْرَى : إجاّص . والإجاّص ضرب
من المشمش »^(٢) .

قال الراد : قال أبو حنيفة : الإجاّص عند أهل الشام الكُمَثْرَى ،
ويسمون الإجاّص المشمش^(٣) . قال الراد : فإذا كانت لغة شامية فكيف
تلحن بها العامة . وحكى الأستاذ أبو محمد بن السّيد — رحمه الله — « أن قوماً
من اليمن يبدلون من الحرف الأول من الحرف المشدد نوناً ، فيقولون في إجاّص :
إنجاّص ، وفي إجاّنة : إنجاّنة »^(٤) . فقول عامة زماننا : إنجاّص ليس بلحن
أيضاً ، لما حكاه اللغويون^(٥) .

١٧ — دالية

وقال أيضا : « ويقولون للعنّيب المِعْرَش : دالية . والدالية التي تدلو الماء
من البئر أو النهر ، أى تستخرجه »^(٦) .

(١) النّص في اللسان (خرت) وزيد فيه بعد الأذن . والإبرة والفأس .

(٢) لحن العامة : ٢٢٤ .

(٣) اللسان (مادة : مشمش) .

(٤) الاقتضاب لابن السّيد : ١٩٥ ولكنه قال بعد ذلك : « وهذه لغة لا ينبغي
أن يلتفت إليها ، فإن اللغة البغانية فيها أشياء منكّرة خارجة عن المقاييس . وإنما ذكرنا
هذا ليعلم أن لقول العامة مخرجاً على هذه اللغة .

(٥) راجع ما كتبناه عن ظاهرة « التّفاير » وتفسير اللحن في ضوئها ، في كتابنا
« لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة » .

(٦) هذا النّص لم يرد في مخطوطة كتاب الزبيدي ، ولا في تصحيح التصحيح .
وقد اعتمدنا على ما جاء هنا فأثبتناه في ملحق تحقيقنا : ٢٩٧ .

قال الراد : حكى أبو حنيفة أن الدَّوَالِي جنس من أعناب أرض العرب .
 فإذا كانت العرب تسمى جنساً من (٥ - أ) أعنابها بالدَّوَالِي^(١) ، فلا معنى
 لإنكاره على العامة . إلا أن العامة تَعُمُّ بهذا الاسم جميع الأعناب ، وهو عند
 العرب واقع على جنس مخصوص .

١٨ - أرياح

وقال أيضا : « ويقولون لجمع الرِّيح : أرياح . والصواب : أرواح »^(٢)
 قال الراد : حكى أبو حنيفة أن لغة بني أسد أن يجمعوا الريح على أرياح^(٣) ،
 على لفظ الواحد . وكذلك حكى اللحياني في نوادره . ومثله عيد وأعياد ،
 وأصله الواو لأنه من عاد يعود ، لأنه يعود في كل سنة . وطرّدوا ذلك
 في التصغير ، فقالوا عُيَيْد^(٤) وكان قياسه عُويداً وأعواداً ، كروحة وأرواح .
 وكثيراً ما تقلب العرب الواو ياء طلباً للخفة ، كقولهم : دَيُّمُوا ، والأصل
 دَوِّمُوا^(٥) ، وكقولهم المَيَّاثيق في المَوَاثيق^(٦) ، وهو من الوثيقة ، وما كان
 لغة للعرب لا تُلحَّن به العامة .

(١) ذكر يوهان فك في كتابه « العربية » : ١٩٨ أن لفظ دالية بمعنى عنقود العنب
 مأخوذ عن اللغة الآرامية .

(٢) تصحيح التصحيف : ٦١ ولم يرد في المخطوطة . واللفظ في تصحيح التصحيف
 ليس للزبيدي بل للحريزي في درة الفواص .

(٣) جاءت أرياح جمعا لريح في شعر عمارة بن عتيل ، فأنكرها عليه أبو حاتم (راجع
 في ذلك : الخصائص : ٣ / ٢٩٥ و ١ / ٣٥٦ ومجالس العلماء للزجاجي : ١٩٣) .

(٤) جاء في شرح ابن عقيل : ٢ / ٤٨٥ : « وشذ قولهم في عيد : مُعَيَّيْد .
 والقياس عريد بقلب الياء واوا ، لأنها أصله ، لأنه من عاد يعود » .

(٥) الخصائص : ١ / ٣٥٥ : دَيَّمت السماء ودومت ، فأما دومت فعلى القياس
 وأما ديمت فلاستمرار القلب في ديمة وديم . وأنشد أبو زيد :

هو الجواد ابن الجواد ابن سبّك^٦ إن دَوموا جاد وإن جادوا وبَل

١٩ - دابة لا تردف

وقال أيضا : « ويقولون : أردفت الرجل إذا جعله خلفه راكباً » .
ثم قال في آخر الفصل : « ويقال : دابة لا تُردِف أى لا تحمل رديفاً .
وقولهم : لا تُردِف ، خطأ » ^(١) .

قال الراد : ليس بخطأ ، بل هى لغة صحيحة ، حكى ابن سيده وغيره
أنه يقال : دابة لا تُردِف ، ولا تُردِف ^(٢) ، أى لا تقبل رديفاً .

٢٠ - غربال

وقال أيضا : « ويقولون للذى يَنْخُلُ ^(٣) الحنطة : غربال . والصواب :
مُغْرِبِلٌ » ^(٤) .

قال الراد : الغربال فى لغة العرب أشهر من أن يحتاج إلى شاهد ،
قال الراجز :

== رجمى لا يَحُلُ الدَمَرُ إِلَّا بِأَذْنَا ولا نَسألُ الأَقْوَامَ عَقْدَ المَبائِثِ
وهو من إصلاح المنطق : ١٣٧ وفيه من الأمثلة : على ما ذكره ابن هشام ، المباثر
والمواثر ، والصواغ والصباغ وغير ذلك (راجع إصلاح المنطق : ١٣٥ — ١٤٤ ،
والمخصص لابن سيده : ١٩/١٤ وما بعدها) .

(١) تصحيح التصحيف : ٦٢ ولم يرد فى مخطوطة الزبيدى . وقد أوردناه فى ملحق
تحقيقنا : ٢٤٦ .

(٢) من مؤلفى كتب اللحن الذين عدوا تردف خطأ — كما عدها الزبيدى — ابن
السكيت فى إصلاح المنطق : ٢٩٧ وتعلب فى الفصيح (التلويح : ١٤٩) والحريرى
فى درة الفواص : ٩٦ وابن الجوزى فى تقويم اللسان (بتحقيقنا) : ١٠٤ .

(٣) فى تصحيح التصحيف : ٢٣٧ ينخل به .

(٤) لم يرد فى مخطوطة الزبيدى ، وهو فى تصحيح التصحيف : ٢٣٧ وملحق
تحقيقنا : ٢٧٧ .

يَجْرُ أَذْيَالًا عَلَى أَذْيَالٍ
يَتْرَكَ حَالَ التُّرْبِ كُلَّ حَالٍ
كَأَنَّمَا غُرَيْلٌ بِالْغُرْبَالِ

وقال الخطيئة :

أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرًّا وَكَأَنُونًا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ^(١)

وقال ابن سيده : غَرَبَلْتُ الشَّيْءَ غَرَبَلَةً ، أَيْ فَنَخَلْتُهُ ، وَالْغُرْبَالُ مَا غَرَبَلَتْهُ
بِهِ . وَلِلْفَعُولِ مُغْرِبَلٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٢) :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ
نَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُغْرِبَلَةً
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٣)

أَيُّ يَنْتَقِي السَّادَةَ فَيَقْتُلُهُمْ^(٤) . وَقَدْ قِيلَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ^(٥) .

(١) البيت في ديوان الخطيئة : واللسان (كتن) والكانون الثقيل من الناس .

(٢) الراجز هو عامر الحمصي كما في جهرة ابن دريد : ٣ / ٣٠٩ .

(٣) الرجز في اللسان (هربل) والبيتان الأخيران في الصحاح (غربل) وفي الجهرة :
٣ / ٣٠٩ : مرعلة بدل مغربلة ، من رحبلت اللحم رحيلة ، إِذَا قَطَعْتَهُ ، قَالَ : وَيُرْوَى :
مغربلة .

(٤) اللسان (هربل) .

(٥) قَالَ أَبُو هَبِيدٍ : الْمَغْرِبَلُ الْمَفْتُولُ الْمَتَفَخُّ ، وَأَنشَدَ هَذَا الرِّجْزَ . (الصحاح :

هربل) .

٢١ - ضفدع

وقال أيضا : ويقولون : ضِفْدَع بفتح الدال . والصواب : ضِفْدَع بالكسر ، على مثال فَعْلِل ،^(١) .

قال الراد : قد جاء عن العرب في ضفدع ثلاث لغات : ضِفْدَع بكسر الضاد والدال . وِضْفَدَع بكسر الضاد وفتح الدال ، كما تنطق به العامة ، على ما حكى أبو بكر^(٢) ، وِضْفَدَع بضم الضاد وفتح الدال^(٣) ، وهي أقلها . فأما قول عامة زماننا : ضَفْدَع بفتح الضاد والدال فلحن .

٢٢ - الكلمتان

وقال أيضا : « ويقولون للآلة التي يُمسك القَيْنُ^(٤) بها الحديد عند الإيقاد والضرب : كَلْبَتَان . والمعروف^(٥) من كلامهم السَّكَلَالِيْب ، واحدها : كُلاب وكُلوب »^(٦) .

(١) لحن العامة : ١٣٤ .

(٢) في الصحاح (ضفدع) : الضفدع مثل الخنصر . . . وناس يقولون ضفدع بفتح الدال . قال الخليل : ليس في السكلام فمّلل (بكسر الفاء وفتح اللام) إلا أربعة أحرف . درم ، وهجرع ، وهبلج ، وقلمع ، وهو اسم .

(٣) في القاموس المحيط (ضفدع) : الضفدع كزبرج وجعفر وجندب ودرم . وهذا أقل أو مردود . وفي الاقتضاب : ٢٠٦ حكى أبو حاتم في ضفدع أن فتح الدال لفة . وقد حكى ضفدع بضم الضاد وفتح الدال وهو نادر ذكره « المطرز » .

(٤) في لحن العامة : يمسك بها القَيْن .

(٥) في لحن العامة : والصواب المعروف .

(٦) لحن العامة : ١٧٣ بتحقيقنا .

قال الراد : قد قال الخليل في « كتاب العين » وهو المرجوع إليه ،
والمعول عليه إن الكَلَّاب (هـ - ب) والكَلُّوب لغتان ، وهي خشبة
في رأسها عُقَافَة ، منها أو من حديد ، أو هي كلها من حديد . فأما الكَلْبَتَان ^(١)
فالذي يكون مع الحدادين ونحو ذلك . قال الراد : فإذا حكاهما الخليل في كتابه
عن العرب ، فكيف تكون غير معروفة ، وكيف تُلحَن بها العامة ؟

٢٣ - جارية عزبة

وقال أيضاً : « ويقولون : جارية عزباء للبكر . والصواب : عزبة ،
وهي التي لا زوج لها ، كانت بكراً أو ثيباً » ^(٢) .

قال الراد : بل الصواب : جارية عزَب ، بغير هاء . وقد أخذ أبو إسحاق
الزَّجَّاج على أبي العباس ثعلب في قوله : وامرأة عزبة ، وزعم أنه خطأ ^(٣) .
قال أبو إسحاق : وإنما يقال : رجل عزَب ، وامرأة عزب ، لأنه مصدر
وصف به ، لا يُثْنَى ولا يجمع ولا يؤنث ، كما يقال : رجل خَصَم ، وامرأة
خصم ، ولا يقال : خصمة . واحتج على ذلك بقول الشاعر :

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبٍ

على ابنة الحمارِ الشيخ الأزب ^(٤)

كأن لحم كَيْنِهَا إذا انقلب

(١) أورده صاحب القاموس (كلب) قال : والكلبتان ما يأخذ به الحداد الحديد الحمى .

(٢) لحن العامة : ٢٠١ ، ٢٠٠ وفيه : بكرا كانت أو ثيبا .

(٣) في هامش نسخة م تعاقب نصه : من كونه غير فصيح . وقد حكاه ابن الأعرابي
في نوادره . فلا تشكره .

(٤) الرجز في اللسان والأساس (عزب) والمخصص : ٢٣ / ٤ .

رُمَانَةٌ فَتَتْ لِمَحْمُومٍ وَصَبَ

فاذا جمعت قلت : أعزاب ، كما قالوا بَطَلَ وأبطال ، وبرَمَ وأبرام ، ولا يمتنع إذا كان للمذكر^(١) من الواو والنون ، فنقول : عَزَبُونَ .

٢٤ - شَبَعَ

وقال أيضاً^(٢) : « ويقولون : هم في شَبَعَ . والصواب : شَبَعَ . تقول : شَبَعَ شَبْعاً حَسَناً . قال امرؤ القيس :

فَتَوَسَّعَ أَهْلُهَا أَقْطَافاً وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعَ وَرَى^(٣) »

قال الراد : قد جاء شَبَعَ بإسكان الباء في المصدر . قال الشاعر^(٤) :

وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شَبْعاً لِبَطْنِهِ وَشَبَعَ الْفَتَى لَوْثُماً إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ^(٥) »

فالشَبَعَ ها هنا مصدر^(٦) ، لأن اللُوم إنما توصف به الأفعال لا الذوات ، ولكن الأكثر في المصدر أن يأتي بفتح الباء . فأما الشَبَعَ بسكون الباء فالمقدار الذي يُشَبِع الإنسان . وقول عامة زماننا : شَبَعَ ، بفتح الشين لحن .

(١) م : المذكر .

(٢) لم يرد هذا النمط في مخطوطة لحن العامة ، وجاء في تصحيح التصحيف : ١٩٧

وليس فيه قوله : تقول : شَبَعَ شَبْعاً حَسَناً . واقتصر على الشطر الثاني من البيت .

(٣) البيت في ديوانه : ١٣٧ بلا خلاف ، وفي الصحاح (ممن) فتعلاً بيتنا .

(٤) هو بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة .

(٥) اللسان (شَبَعَ) .

(٦) جرى في اللسان على أن الشَبَعَ هنا هو الطعام المشبع ، وأوّل البيت على حذف

مضاف ، كدأ أنه قال ونيل شَبَعَ الْفَتَى لَوْثُماً . وذلك لأن الشَبَعَ جوهر وهو الطعام المشبع .

ولَوْثُ عَرَض ، والجوهر لا يكون عَرَضاً . فاذا قدرت حذف المضاف وهو النيل كان

عَرَضاً كَلَوْثُماً .

٢٥ - امرأة أرملة

وقال أيضاً : « ويقولون : امرأة أرملة ونسوة أرامل للنساء اللاتي هلك
عنهن أزواجهن ^(١) . والأرملة المحتاجة » .

قال الراد : كان ينبغي له ألا يدخل مثل هذا في لحن العامة ، لأنه قد قال
به كثير من اللغويين . وما حكاه بعض أهل اللغة لا تلحن به العامة .

قال ابن الأعرابي — رحمه الله — الأرملة التي مات عنها زوجها . قال
الراد : وهذا الذي قاله ابن الأعرابي هو المعروف الذي يستعمله الناس قديماً
وحديثاً . واشتقاق الأرملة من الإرمال ، وهو ذهاب الزاد ونفاذه ، يقال :
أرمل القوم فهم مرملون إذا فني زادهم ، فسميت المرأة (٦ - ١) التي مات
عنها زوجها أرملة لما ينالها في الأغلب من الحاجة ، وشدة الحال ، عند بعد
زوجها المنفق عليها والقائم بأمرها . وقد يسمى الرجل المحتاج أرملاً ، على وجه
التشبيه بالمرأة الأرملة ، في الفقر وضعف الحال . وقول جرير :

* فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذُّكْرُ * ^(٢)

(١) قوله : « للنساء اللاتي هلك عنهن أزواجهن » لم يرد في مخطوطة لحن العامة وقد
أضفناه في تحقيقنا من ٢٢٥ استناداً إلى ما جاء هنا .

وفي نسختي رد ابن هشام : التي ، بدل اللاتي .

(٢) صدر البيت :

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها

ولم أجد البيت في ديوان جرير ، وفيه قصيدة من بحره وقافيته : ٢٧٤ بمدح بها عمر
ابن عبد العزيز ، والبيت في الأساس والتاج والأساس (رمل) والمنجد لكراع : ٦٩
وتتقيف اللسان : ٢١٢ . ولحن العامة للزبيدي : ٢٢٦ .

يفهم منه أن هذه اللفظة موضوعة في الأصل للإناث ، وإنما جعلها للذكور على وجه الاستعارة والنشبيه ، ولازدواج الكلام . ولذلك قال : الأرملة الذكر . كأنه قال : فمن لهذا الذكر الذي قد أشبه الأرملة ، وصار مثلها في الفقر والحاجة . وقد قال ابن قتيبة : إذا قال الرجل : هذا المال لأرملة بني فلان فهو على طريق اللغة للرجال والنساء ، لأن الأرملة يقع على الذكور والإناث ، واحتج بقول الشاعر :

أَحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَخِيلاً
رَعَى الرَّبِيعَ وَالشَّتَاءَ أَرْمَلًا^(١)

قال : أراد لا أنثى له ، لأنه إذا سفد هزل . فقد أبان ابن قتيبة أن هذه اللفظة إنما تقع في اللغة على من لا زوج لها من النساء ، وعلى من لا زوجة له من الرجال . وعاب ابن الأنباري على ابن قتيبة إيقاعه هذا الاسم على الرجال ، وقال : إن المرأة التي مات عنها زوجها يقال لها أرملة ، لما يقع بها من الفقر وذهاب الزاد ، بعد موت عشيرها وقِيمِها . والرجل الذي تموت امرأته يقال له : أَيْمٌ ، ولا يقال له أرملة ، إذ ليس شأن الرجل أن يفتقر ويذهب زاده بموت امرأته ، إنما ذلك واقع بالنساء ، إذ كان الرجال هم المنفقين عليهن . قال الله سبحانه : (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)^(٢) قال : وقول الشاعر :

فَمِنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذَّكَرِ

لم يرد بالأرملة الذي ماتت امرأته ، بل أراد الفقير الذي نَدَّ زاده .

(١) اللسان (رمل ، سجيل) والتاج (رمل) ولحن العامة لازبيدي : ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء : ٣٤ .

ثم بين المعنى بقوله : « الذكر » . وكذلك قول الآخر :

رعى الربيع والشتاء أرملاً

ليس فيه حجة ، لأنه أراد الربيع والشتاء الأرملة ، أى الشتاء المذهب أزواد الناس . فالأرملة من صفة الشتاء ، ليس من صفة الضب ، وإنما نصب على القطع من الشتاء . قال : وبعد ، فالتألب على الأرملة في تعارف القدماء ، والخاصة والعامة ، أنهن النساء دون الرجال ، فإن (٦ - ب) قال شاعر في ضرورة شعر : « رجل أرملة » لم ينقض بذلك العادة الجارية ، كما لو قال : « مالى فى الرجال » لم يعطه الإناث ، وإن كانت المرأة يقال لها : الرجل . فكذلك إذا قال : « هذا المال للأرملة » فهو للنساء اللاتى مات أزواجهن ، وليس للرجال فيه حظ . قال الراد : وهذا كله يشهد لصحة قول العامة .

٢٦ - جمع سوداء

وقال أيضاً : « ويقولون لجمع السوداء : سَوَدَانات . والصواب : سوداوات وسود » (١) .

قال الراد : أما سَوَدٌ فصحيح . وأما سوداوات فخطأ ، لأن سوداء لا تجمع فى الصفة على سوداوات . وكذلك كل صفة على فعلاء ولها مذكر على أفعل ، مثل حمراء وأحمر ، وبيضاء وأبيض ، لا يجمع شئ من ذلك جمع سلامة لا المذكر بالواو والنون ، ولا المؤنث بالالف والتاء . وهذا منصوص لسيبويه وغيره من النحويين . ولا أعلم بينهم فيه اختلافاً . وقد حكى أبو بكر ذلك عن سيبويه ، وخالفه فى جمعه سوداء على سوداوات وزعم أنه الصواب .

(١) تصحيح التصحيف : ١٩٤ ولم يرد فى مخطوطة لحن العامة .

قال الراد : وإنما يجمع هذا النوع من الصفات مُكْسَرًا ، إلا أن يُزال شيء منه عن موضعه ، فيجمل اسمًا غير صفة ، فيجوز أن يجمع حينئذ جمع السلامة ، كما جاء : « ليس في الخضرَاوات صدقة » لأنهم جعلوا الخضرَاءَ اسمًا لهذا النوع من النبات . وكما قالوا الحمرَاوات لمواضع معروفة^(١) ، أشهرها « حمراء الأسد » وهي قرية من المدينة . وكما جمعوا بَطْحَاءَ على بطحاوات ، لأنهم استعملوها استعمال الأسماء فجمعوها جمعها . ولو تَمَيَّت رَجُلًا بأحمر ، أو أسود لقلت في جمعه : الأحمرون والأسودون ، والأحمر والأسود . فأما في الصفة فيجمع على فُعْل وفُعْلان كُحْمَر وُحْران وُسُود وُسُودان ، وأُذْم وأُذْمَان .

وقد قال بعضهم للأذْمَاء من الظِّبَاء : أذْمَانَة ، قال ذو الرمة :

لأذْمَانَةِ مِلْوَ حِشٍّ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ وَبَيْنَ الْحِبَالِ الْعُفْرِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ^(٢)
وعاب الأصمعي هذا على ذي الرمة ، وقال : يقال آدم وأدْمَان ، وأحمر وُحْرَان ، فأذْمَانَة خطأ لأنه جمعه واحداً وهو جمع . وقال غير الأصمعي : إنما جمعه مثل تُخْصَانَة ، يريد أنه صاغ من الأذْمَة (٧ — أ) اسماً مفرداً على فُعْلَان ، مثل تُخْصَان وُعْرِيَان ، ثم ألحقه تاء التأنيث كما تلحق في هذا النحو ، فقالوا أذْمَانَة ، كما قالوا تُخْصَانَة وُعْرِيَانَة . قال أبو إسحاق الطرابلسي النحوي : وقياس من قال أذْمَانَة أن يقول في الجمع أذْمَانَات ، كما يقال في جمع خُصَانَة خُصَانَات . قال الراد : ولا يمتنع على هذا أن يقال سُودَانَة وُسُودَانَات كما تقول العامة ، إلا أنهم يفتحون السين ، وحقها على هذا أن تضم . ولا أعلم هذا مسموعاً .

(١) راجع معجم البلدان : ٣٣٣/٢ .

(٢) الديوان : ٤٩٥ .

وإنما قلته على طريق التجويز والإمكان لأن له نظيراً من كلام العرب ،
كما أريتك ، والله أعلم .

٢٧ -- مكنى

وقال أيضاً : « ويقولون : هو مُكْنَى بـأبي فلان . والصواب : مَكْنَى
وَمُكْنَى » ^(١) .

قال الراد : قد حكى ثعلب عن سلمة عن الفراء ، أنه يقال : كُنَيْتُهُ
وَكُنُونُهُ وَأَكْنَيْتُهُ ^(٢) . والمفعول من أَكْنَيْتُهُ مُكْنَى على وزن مُعْطَى ،
كالذى حكاها عن العامة . وأفصح اللغات : كُنَى بالتشديد ، فهو مُكْنَى ،
وَكُنَى بالتخفيف ، فهو مَكْنَى ، وَأَكْنَى كُنَيْتُهُ فهو مُكْنَى ليست بالفصيحة ،
إلا أنها ليست بخطأ ، ولا يجب أن تلحن بها العامة ، لكونها لغة مسموعة .
ومن اتسع في كلام العرب ولغاتها لم يكد يُلْحَن أحداً . ولذلك قال أبو الخطاب
عبد الحميد بن عبد المجيد ^(٣) : « أنهى الناس من لم يُلْحَن أحداً » ^(٤) وقال
الخليل — رحمه الله — : « لغة العرب أكثر من أن يلحن متكلم » وروى
الفراء أن الكسائي قال : « على ما سمعت من كلام العرب ليس أحدٌ يلحن
إلا القليل » .

(١) لم يرد في مخطوطة لحن العامة . وجاء في تصحيح التصحيف : ٢٩٥ واللفظ فيه
لابن مكي لا للزبيدي ، ونصه : « ويقولون أقر المكنى بأبي فلان والصواب : المكنى ،
بفتح الميم وسكون الكاف وكرر النون وتشديد الباء » .
(٢) زاد في اللسان (كنى) عن الفراء : وكُنَيْتُهُ (بالتشديد) وهى التى ذكر المؤلف
بعد أنها أفصح اللغات .

(٣) الأخفش الأكبر ، أخذ عنه سيويه والكسائي ويونس وأبو عبيدة .

(٤) فى هامش نسخة م : قف على هذا واعلم .

٢٨ - لَوْلِي

وقال أيضاً في بيت عثمان بن عفان وهو :

فَلَوْلِي قُلُوبُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا لَمَّا مَلَأْتُ لِي مِنْهُ مَعْتَبَةً قَلْبًا^(١)
هكذا قال : « فلولي قلوب » وأنا أسنرب^(٢) به ، لأن « لو » لا يليها
إلا الفعل ظاهراً أو مضمرأ^(٣) .

قال الراد : وكذلك « لو » في البيت وليها الفعل مضمرأ ، وارتفاع الاسم
الذي بعدها به . قال الله تعالى : (قُلْ لَوْ أَتَمُّ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي)^(٤)
فأتم فاعل بفعل مضمر دل عليه « تَمْلِكُونَ »^(٥) . وكذلك قولهم في المثل :
« لو ذات سوارٍ لَطَمْتَنِي »^(٦) .
وكذلك قول الشاعر^(٧) :

ولو غيرُ أخوَالِي أرادُوا نَفِصَتِي جعلتُ لهم فوقَ العرَانِينِ مِيسَمًا^(٨)

(١) في لحن العامة : ١٠٨ ضمن أربعة أبيات .

(٢) في لحن العامة : ١٠٩ فاستربت .

(٣) زاد في لحن العامة : « لا مع أن » .

(٤) سورة الإسراء : ١٠٠ .

(٥) في المعنى ٢٦٨/١ توجبه آخر مع هذا التوجيه ، إذ قيل إن تملكون خبر لكان المحذوفة والأصل لو كنتم أنتم تملكون . قال : وفيه نظر للجمع بين الحذف والتوكيد .

(٦) المثل في المعنى : ٢٦٨/١ والكامل : ٢٧٨/١ وهو في مجمع الأمثال ١٥٢/٢ :

لو غير ذات سوار لطمتني .

(٧) هو المتلس

(٨) ديوانه : ١ (نسخة الشنقيطي بدار الكتب) والأصعيبات : ٢٨٧ وفيها : فلو

وشرح ديوان الحماسة ٦٦/١ والكامل للمبرد : ٣٧٩/١

وقال جرير :

لو غيرُكم عَليقُ الزُّبيرِ بِجَبلِهِ أدَّى الجِوارَ إلى بَنى العَوامِ^(١)
(٧ - ب) وقال الآخر^(٢) :

لو بغيرِ الماءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنتُ كالغَمَّانِ بالماءِ اعتصارى^(٣)
فهذه كلها محمولة على الفعل المضمر عند البصريين . فإذا كان هذا فمِمَّ
استراب ؟ لكنه لم يدر كيف يُقدِّره^(٤) ، إذ لم يقع بعد القلوب فعل يفسره
فاستراب لذلك . وتقدير الفعل : لو كانت لى ، أو خُلِقت لى ، أو استقرَّت لى ،
أو ما شا كل هذا ، مما يدل عليه سياق الكلام .

٢٩ - بحر

وقال أيضاً : « ويقولون لما كان ملحاً خاصة : بحر . والبحر يكون للملح
والعَذْب »^(٥) .

قال الراد : هذا الذى قاله صحيح ، إلا أن العامة لا تلمح بخلافه لقول
جماعة من كبار أهل اللغة به ، قال أبو عبيد عن الأُموى ، وقد روى أيضاً عن

(١) فى ديوان جرير : ٥٥٣ وفيه : ورحله ، بدل : بجبله . والبيت فى المفتى :
٢٦٨/١ غير منسوب ، وشرح شواهد منسوب (لو) والكامل للمبرد : ٢٧٩/١ .

(٢) هو هدى بن زيد . والبيت فى ديوانه ٩٣ .

(٣) المفتى : ٢٦٨/١ وشرح شواهد (لو) ونسبه لعدى بن زيد ، كذلك فى اللسان
والصاح (شرق غصص) والمختص : ٩٦/٩ .

(٤) فى هامش نسخة م تعليق نصه : انظر قوله « لم يدر كيف يقدره » .

(٥) لم يرد فى مخطوطة لحن العامة . وهو فى تصحيح التصحيف : ٩٠ مع تقديم
وتأخير فى كلتين ، ونصه : ويقولون : بحر لما كان ملحاً خاصة . والبحر يكون
للعذب والملح .

الأصمعي : الماء البحر هو المِلح^(١) ، يقال منه : قد أبحر الماء ، أى صار مِلحاً ، قال نُصيب :

وقد صار ماء الأرض مِلحاً فزادنى
إلى مرضى أن أبحر المَشْرَبُ العَذْبُ^(٢)

وقال أبو الحسن ابن فارس فى « مجمله » : ماء بحر أى مِلح ، يقال : أبحر الماء ، إذا مَلُح . وقال ابن دريد : الأصل فى البحر أنه الماء المِلح ، ثم قالوا لكل ماء كثير : بحر^(٣) .

٣٠ - ظُفْر

وقال أيضاً : « ويقولون لواحد الأظفار : ظُفْر . والصواب : ظُفْر وأظفور »^(٤) .

قال الراد : حكى ابن جنى فى الظفر أربع لغات : ظُفْر ، وظُفْر ، وظُفْر ، وظُفْر بكسر الظاء^(٥) ، كما تنطق به العامة ، وأظفور^(٦) .

(١) عن أبى عبيد فى المخصص : ١٥/١٠

(٢) اللسان (بحر) وفيه : عاد بدل : صار .

(٣) نص المجهرة : ٢١٧/١ والعرب تسمى الماء المِلح والعذب ببحراً إذا كثر ، وفى التنزيل (مرج البحرين يلتقيان) يعنى المالح والعذب . وعبارة المخصص : الماء المِلح الكثير .

(٤) لحن العامة : ١٣١ ولم تسكن بخطوطه كلمة ظفر التى هى الصواب ، وأضفناها فى تحقيقنا اعتماداً على ما جاء هنا .

(٥) قال ابن دريد فى المجهرة ٣٧٧/٢ : ولا يقال : ظفر (بكسر الظاء) وإن كانت العامة قد أولت به .

(٦) المجهرة : ٣٧٧/٢

٣١ - مرد

وقال أيضاً : « ويقولون : تاجر مُردّ ، ومُخسِر ، ومُرّيج . والصواب : رادّ ، وخامِر ، ورايخ ، لأنه من ربح ، ورد ، وخسر » ^(١) .

قال الراد : يجوز أن يقال : مُردّ ، ومُخسِر ، ومُرّيج ، على تأويل أنه صار ذا ربح في ماله ، أو ذا خسارة فيه ، أو ذارَدَ . ويجيء « أفل » بمعنى الصيرورة من حال إلى حال كثير في كلامهم . وهو باب مطرد لا يمتنع من القياس عليه . قال سيبويه : تقول أجرب الرجل ، وأنجز ، وأحال ، أى صار صاحب جَرَب ، ونُحَاز ، وحِيال في ماله . ومثل ذلك : رجل مُشَدّ ، ومُتَوَرِّج ، ومُتَعَطِف ، أى صاحب شدة وقوة وقَطَاف في ماله . ومثله : ألام الرجل ، أى صار صاحب لَأَمَة ^(٢) . قال : ومثل المُتَعَطِف والمُجَرَّب : المُعْسِر والمُقْتِر والمُوسِر والمُغِلّ .

٣٢ - يتهكم

وقال أيضاً : « ويقولون : فلان يَتَهَكَّم بفلان ، أى يهزل به . وإنما للمتهكّم الغاضب » ^(٣) .

قال الراد : للمتهكّم عند العامة إنما هو الزارى العايب (٨ - أ) المتهزّى . وكذلك هو عند العرب . قال ابن سيده : المتهكّم المتهزّى ، وقد تهكّم بنا ،

(١) لحن العامة : ١٧٧

(٢) الصحاح (لأم) عن ابن دريد .

(٣) ليس في المخطوطة ، وقد نقله الصفدي عن الزبيدي : تصحيح التصحيف : ٣٢٦

أى زرى علمينا وعبت (بنا)^(١) . هذا الذى تريده العامة بالمتهمكم . ويكون
المتهمكم أيضاً المتغنى . وقد تهكت له ، وهكمته غنيمته . والمتهمكم أيضاً
المتكبر ، وهو الذى يتهدّم عليك من الغيظ والحق . وتهكت البئر :
تهدّمت ، من ذلك .

٣٣ — قطاطيس

وقال أيضاً : « ويقولون لجمع القِطّ : قطاطيس . والصواب : قِطاط
وقُطُوط »^(٢) .

قال الراد : أما قطاطيس فليس بجمع لِقِطّ ، كما ظنّ ، وإنما هو جمع
لِقِطُّوس^(٣) ، وهو من أسماء القِطّ ، فجمعوا قِطُّوساً على قِطاطيس ، كخَنُوص ،
وهو ولد الخنزير ، والجمع خنانيص . قال الأخطل :

أَكَلَتِ الدَّجَاجَ فَأَفْنَيْتَهَا فَهَلْ فِي الْخَنَانِيصِ مِنْ مَّغْمَزٍ^(٤)

إلا أنهم استعملوا من أحد الاسمين الواحد فقالوا : قِطّ . واستعملوا
من الثانى الجمع فقالوا : قطاطيس . وللقط ستة أسماء : قِطّ ، والأنثى قِطّة ،
والجمع قِطاط وقُطُوط وقِطَطَة . وهِرّ ، والأنثى هِرّة ، والجمع هِررة .
وسِنُور ، والأنثى سِنُورة ، والجمع سنانير . وقِطُّوس ، والجمع قطاطيس .

(١) اللسان (هك)

(٢) تصحيح التصحيف : ٢٥٤ وفيه : قطط بدل قِطاط . والأخير هو المشهور .
وقد جاء قطط فى المصباح .

(٣) ذكر شارل كوينتز أن القِطُّوس دخيل من اللغة البربرية (مجلة مجمع اللغة
المرية : ٣٣٠ / ٨) وذكر يوهان فك أنه من اللغة المصرية (المربية : ١٩٧)

(٤) فى الصّحاح واللسان (قطط) وفيهما : القِطاط بدل الدجاج . وفى اللسان (خنص) :
الدجاج . وفيه (هطط) : القِطاط (القِطّا) .

وَضَيَّيُونَ ، والجمع ضَيَّائُونَ . وحكى صاعد^(١) في كتاب « الفصوص »^(٢) .
أن الدم اسم من أسماء السُّنُور^(٣) ، وأنشد :

تَرَى الدَّمَ مِنْهَا مُرْصِداً للعكابر

قال : والعكابر اليرابيع^(٤)

وحكى بعضهم أن من أسمائه : الخَيْطَل ، والطَوَّاف ، والخازباز ،
والخَدَّاش والمُخْدِش ، وذكر أسماء كثيرة .

٣٤ — ما جاء على فعلت والعاماة تكسره

وقال أيضاً : « ومما جاء على فعلت مفتوح العين ، والعاماة تكسره
قولهم ، عرفت ، وعقلت ، وملكت ، وكسبت ، وعجزت ، ونكأت »^(٥) .
قال الراد : أما عَجَزَتْ فالأفصح فتح الجيم ، وبذلك قرأ الجماعة . وعجز
بكسر الجيم ، لغة ، وقد قرئ بها^(٦) . وما كان لغة للعرب لا تلحن بها^(٧)

(١) صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادي ، لغوي أديب ، صاحب السيرافي والفارسي
والخطابي وروى عنهم ، أصله من الموصل ورحل إلى الأندلس ، وكان من متقدمي ندائى
المنصور بن أبي عامر ، ألف كتاب « الفصوص » كامالى القالى : توفى بمصر سنة ٤١٧ هـ
(بنية الوعاة ٧/٢) .

(٢) مخطوط ، توجد نسخة منه في المغرب (مكتبة الكتاني رقم ١٦٦٨) .
(٣) في اللسان (دما) والدم : السنور ، حكاه النضر في كتاب « الوحوش »
وأنشد كراع :

كذلك الدم يآدو للعكابر

(٤) في اللسان : ذكور اليرابيع
(٥) لم يرد في مخطوطة لحن العامة ، ولا في تصحيح التصحيح للصغدي .
(٦) الآية ٣١ من سورة المائدة .
(٧) نسخة م : به

العامة ، وإن كان غيرها أفصح منها . ويقال أيضاً : عَجِزَت المرأة ، بكسر الجيم إذا عَظُمَت عَجِيزَتها ، وعَجِزَت ، بتشديد الجيم ، إذا صارت عَجُوزاً . وأما نَكَلْتُ فالأفصح فتح الكاف ، وَنَكِلَ ، بكسر الكاف ، لغة ، والمضارع يَنْكُلُ بضم الكاف . ولم يأت فَعِلَ يَفْعُلُ ، بكسر العين في الماضي وضمها في المستقبل إلا في سبعة أفعال شَدَّتْ ، وهى : نَكِلَ يَنْكُلُ ^(١) ، وَفَضَلَ يَفْضُلُ ^(٢) ، وَنَعِمَ يَنْعُمُ ^(٣) ، وَحَضَرَ يَحْضُرُ ^(٤) ، وَشَمِلَهُمُ الأَمْرَ يَشْمِلُهُمُ ^(٥) . ومن المعتل مِتَّ تَمُوتُ (٨ - ب) وَدِمَّتْ تَدُومُ ^(٦) .

٣٥ - ما جاء على فعلت والعامة تفتحه

وقال أيضاً : « وما جاء على فَعِلْتَ مكسور العين ، والعامة تفتحه ، قولهم : لَجِجْتُ ، وَغَصِصْتُ » ^(٧) .

قال الراد : قد جاء لَجِجْتُ وَلَجِجْتُ ^(٨) ، وَغَصِصْتُ وَغَصِصْتُ ،

(١) الصحاح (نكل) : ونكل كنصر عن العدو وعن البين ينكل بالضم ، أى جبن ... وقال أبو عبيدة : نكل بالكسر لغة فيه ، فأنكروه الأصمعي .

(٢) الخصائص : ٣٧٨/١ وليس في كلام العرب : ٣٧

(٣) الخصائص : ٣٧٥/١ وليس في كلام العرب : ٣٧

(٤) الخصائص : ٣٧٨/١

(٥) في الصحاح (شمل) : لفتان : من باب علم . ومن باب نصر لغة ولم يعرفها الأصمعي .

(٦) مت تموت ودمت تدوم : في الخصائص : ٣٧٥/١ وليس في كلام العرب : ٣٧

وراجع باب تركيب اللغات في « الخصائص » : ٣٧٤/١

(٧) لم يرد كذلك في المخطوطة ولا في تصحيح التصحيف .

(٨) الصحاح (لجج) : لججت بالكسر : ولججت بالفتح لغة

بالكسر والفتح في العين منهما ، ولكن الكسر أفصح ، والفتح لغة^(١) .
وإذا كانت لغة لم تلحن بها العامة .

فعلت وأفعلت

وقال أيضاً : « ومما جاء على فعلت ، وهم يقولونه على أفعلت ، قولهم :
رَشَوْتُ السلطان ، وَنَجَلْتُ ولدى ، وَعَرَضْتُ عليه الأمر ، وَسَدَلْتُ عليه
الستر ، وشَحَنْتُ السفينة »^(٢) .

قال الراد : أما سَدَل فيقال فيه سَدَلٌ وأسَدَل . قال ابن سيده : يقال
سدل الشعرَ والثوبَ والتسترَ يسدله ويسدله سَدَلًا ، وأسَدَله^(٣) : أرخاه .
ويقال أيضا : أزدل يزُدِل ، بالزاي ، على البذل^(٤) .

٣٦ - أفعلت وفعلت

وقال أيضا : « ومما جاء على أفعل بالالف ، وهم يقولونه على فَعَلَ ،
قولهم : أفْلَحَ الرجل ، وأصَحَّت السماء ، وأقفلتُ الباب ، وأغلقته ، وأقرَدَ الرجل
إذا سكت ولم ينطق ، وأحدتُ السكين ، وآذيت الرجل »^(٥) .

(١) عن أبي عبيدة : كما في إصلاح المنطق : ٢١١

(٢) لم يرد في مخطوطة الزبيدي ولا في تصحيح التصحيف .

(٣) اللسان (سدل)

(٤) إبدال السين زايًا هنا حق تؤيده النظريات الصوتية . فطبةً لظاهرة التماثل بين
الأصوات المتجاورة ، يقال إن السين في أسدل وهي صوت مهوس ، جاورت الدال وهي
مجهور ، فتقلب السين إلى نظيرها المجهور وهو الزاي ، لينم التماثل بين الصوتين
المتجاورين . وهذا ما عناه سيويه بقوله : فأما قولهم يزُدل ثوبه فعل المضارعة لأن السين
وهي من موضع الزاي (اللسان)

(٥) لم يرد في مخطوطة الزبيدي ولا في تصحيح التصحيف .

قال الراد : أما أغلقت الباب فقد حكى ابن دريد فيه : غَلَقْتُ ،
وهي لغة ضعيفة^(١) . والأفصح في ذلك غَلَقْتُ ، قال الله تعالى : (وَغَلَقَتِ
الْأَبْوَابَ)^(٢) ثم أغلقت ، ثم غَلَقْتُ ، وهي وإن كانت لغة ضعيفة ،
فلا يجب أن تلحن بها العامة ، لأنها من كلام العرب ، وإن قَلَّتْ وضعفت .
وأما أذيت الرجل فيقال فيه : أَذَى الرجلُ يَأْذِي ، إذا تأذى فهو أَذٍ ،
غير معدي ، قال امرؤ القيس :

وإذا أَذَيْتُ ببلدٍ ودَعَيْتُهَا ولا أُقيمُ بغيرِ دارٍ مُقامٍ^(٣)
كذا وقعت الرواية : أَذَيْتُ بفتح الهمزة على ما ذكرنا . ثم يُعْدَى بالهمزة ،
فيقال : آذَيْتُهُ . كما تقول : وَقَرَّتِ الدابة وأوقرتها ، ورَهَيْتُ وأرهيتها .

٣٨ - كبير الحداد

وقال أيضا : « ويقولون للزِقِّ الذي يَنْفُخ فيه »^(٤) الحداد : كبير .
والصحيح المعروف أن الكبير مَوْقِد النار^(٥) .
قال الراد : أكثر أهل اللغة على أن الكبير الزق^(٦) . ومن أقوى
حججهم في ذلك قول جرير :

(١) الجهرة : ٤٣٩/٣ : هَلَقْتُ الباب وأغلقته . وأبى البصريون إلا أغلقته : ولم يجزوا
غلقته ألبتة . وفي اللسان (غلق) أن غلقت الباب غلقاً لغة رديئة متروكة . وهي من ابن
دريد الذي عزاها إلى أبي زيد .

(٢) سورة يوسف : ٢٣

(٣) ديوانه : ١١٨

(٤) في لحن العامة وتصحيح التصحيف ٢٦٨ : به

(٥) لحن العامة : ٢٣٠ ، ٢٣١

(٦) من هؤلاء أبو نصر الباهلي وأبو عمرو الشيباني ، وقد أورد الزبيدي رأيهما ،
واستشهد أبي عمرو ببيت بشر بن أبي خازم . وقد قال الزبيدي : إن إطلاق الكبير على
الزق لا يصح إلا على وجه تسمية الشيء بما قرب منه ، كقولهم : راوية للمزادة .

أَتَفْخَرُ بِالْمُحَمَّمِ قَبِينَ لَيْلَى وَبِالْكَبِيرِ الْمَرْقَعِ وَالْعَلَاءِ^(١)
 فدل بقوله : المرقع ، على أنه الزق حقيقة . وكذلك بشر بن أبي خازم :
 كَانَ حَفِيفَ مَنْخَرِهِ إِذَا مَا كَتَمَنَ الرَّبَّوَ كَبِيرٌ مُسْتَمَارٌ^(٢)
 وهذا بَيِّنٌ لَا خَفَاءَ بِهِ .

وأما السكور عندهم فهو للمبنى من الطين^(٣) . ومنهم من قال إن (٩ — أ)
 الكير هو المبنى . فإذا كان لأهل اللغة فيه قولان . فكيف تلحّن به العامة ؟

٣٩ — صحاب

وقال أيضا : « ويقولون لجماعة الصاحب : صحاب . والصواب : صحاب
 بالكسر »^(٤) .

قال الراد : قد حكى أهل اللغة صحاباً وصحاباً ، وصحاباً وصحابية .
 فأما صحاب بالكسر فجمع صاحب ، على توم حذف الألف ، فكانهم جمعوا
 قَفَلًا على فِعَالٍ ، نحو كَتَبَ وَكِعَاب . وقيل : إنه جمع على غير توم حذف
 الألف^(٥) ، كما قالوا : راجل ورجال ، وقائم وقِيَام ، وصائم وصِيَام ، ونائم
 ونيام . وحكى يونس : حائطا وحياطا ، وجائعا وجياعا ، وساغبا وسغابا .
 قال أبو علي الفارسي — رحمه الله — : وهذا من الجمع العزيز المسموع
 الذي لا يقاس عليه . وصحابه أيضا ، بكسر الصاد ، جمع صاحب ، إلا أنه أنث

(١) في شرح الديوان : ٨٤ والكامل للمبرد : ١٤٣/٣ : أيفخر .

(٢) ديوان بشر : ٧٨ واللسان (عور — كتم — ربا) وإصلاح المنطق : ٣٣

ومقاييس اللغة : ١٤٩/٥ ولحن العامة : ٢٣١

(٣) إصلاح المنطق : ٣٢

(٤) لحن العامة : ١٩٣

(٥) في الصحاح (صحب) : صحاب مثل جائع وحياع .

الجمع ، كِذْكَارَةٌ وَفِحَالَةٌ . وَأَمَّا صَحَابٌ ، بفتح الصاد ، وَصَحَابَةٌ فَاسْمَانِ لِلْجَمْعِ .
 كَذَا حَكَى فِيهِمَا أَهْلُ التَّحْقِيقِ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ . وَقُلْ أَنْ يَوْجِدَ فَعَالٌ جَمْعًا
 إِلَّا فِي قَوْلِهِمْ . شَابَ وَشَبَابٌ . وَحَكَى ابْنُ جَنَى أَنَّ صَحَابَةَ مُصَدَّرٌ .

٤٠ - الصَّارِي

وَقَالَ أَيْضًا : وَيَقُولُونَ لِعُودِ الشَّرَاعِ : صَارٍ . قَالَ أَبُو بَكْرٌ (١) :
 وَالصَّارِي الْمَلَّاحُ ، وَجَمْعُهُ صُرَّاءُ . هَكَذَا رَوَى أَبُو نَصْرٍ ، وَصَوَارٍ أَيْضًا ،
 قَالَ الْأَعَشَى :

خَشِيَ الصَّوَارِي صَوْلَةً مِنْهُ فَعَاذُوا بِالْكَلَالِ كُلِّ (٢)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الصَّارِي الْمَلَّاحُ ، وَجَمْعُهُ صُرَّاءُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَفُعَالٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ جَمْعًا لِفَاعِلٍ ، مِثْلُ قَائِمٍ وَقُوَّامٍ ،
 وَصَائِمٍ وَصُؤَامٍ ، وَضَارِبٍ وَضُرَّابٍ . وَقَدْ غَلِطَ الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا رَوَاهُ (٣) .

قَالَ الرَّادُّ : لَيْسَ رَدُّ أَبِي بَكْرٍ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَصْمَعِيَّ إِنَّمَا بَنَى
 عَلَى الْجَمْعِ الْمَعْهُودِ فِي فَاعِلٍ مِنَ الْمَعْتَلِ اللَّامِ . وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِفُعْلَةٍ أَوْ فُعْلٍ ،
 نَحْوِ مَاشٍ وَمُشَاةٍ ، وَقَاضٍ وَقَضَاةٍ ، وَرَامٍ وَرَمَاةٍ ، وَغَازٍ وَغُرْزٍ ، وَعَافٍ وَوُعْفٍ .
 وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صُرَّاءُ عَلَى أَحَدِهِمَا ، فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ عَلَى أَحَدِهِمَا جَمْعُهُ
 شَاذًا . وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : إِنْ فُعَالًا مِنَ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ جَمْعًا لِفَاعِلٍ ،
 إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْبِنَاءِ الصَّحِيحِ اللَّامِ ، نَحْوِ ضَارِبٍ وَضُرَّابٍ ، وَقَائِمٍ وَقُوَّامٍ ،

(١) فِي لَحْنِ الْعَامَةِ : قَالَ عَمْدٌ

(٢) فِي الدِّيَوَانِ : ٣٣٩ : الصَّرَارِيُّ — بِالْكَوَاثِلِ . وَفِي النِّسْخَتَيْنِ وَلَحْنِ الْعَامَةِ :
 صَوَارٍ . وَفِي الْبَيْتِ : الصَّوَارِي كَمَا أَثْبَتْنَا .

(٣) لَحْنِ الْعَامَةِ : ٢١٧ ، ٢١٨

وصائم وُصَوَّام . وأما من بناء ماشي ، وقاضي ، وغازي ، فلم يأت إلا شاذاً
نحو صُرَّاء^(١) .

٤١ - كلوة

وقال أيضاً : « ويقولون لواحد الكُلِّي : كلوة . والصواب كلئية .
وزعم بعض اللغويين أن أهل اليمن يقولون كلوة ، بالواو . وذلك مردود »^(٢) .
قال الراد : حكى ابن دريد وغيره (٩ - ب) أن الكلوة لغة في
الكلئية^(٣) . فكيف تُرد على من حكاهها من اللغويين الثقات . فلم يبق للعامة
ما تلحن فيه ، على هذه اللغة ، إلا فتح الكاف ، لأن هذه اللغة إنما أتت
بضمها .

٤٢ - مؤخرة السرج

وقال أيضاً : « ويقولون : مؤخرة السَّرَج . والصواب : آخرة السرج .
وكذلك آخرة الرِّحْل »^(٤) .
قال الراد : قد حكى ابن سيده آخرة الرحل ومؤخرتها^(٥) ، ولم يبق للعامة
ما تلحن فيه ، على هذه اللغة إلا فتح الميم والحاء . وهذه اللغة إنما وردت
بضم الميم وكسر الحاء .

(١) راجع في ذلك كتاب سيبويه : ٢٠٦/٢ وشرح المفصل : ٤٤/٥ . ولسان العرب :
صرى ، وصرر .

(٢) لحن العامة : ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) الجهرة : ١٧٠/٣ .

(٤) لحن العامة : ١٣٨ .

(٥) لغة قليلة (الصحاح آخر) .

٤٣ - زرافة

وقال أيضاً : « ويقولون لبعض الدواب زرافة . والصواب : زرافة بالفتح »^(١) .

قال الراد : قد حكى ابن سيده في « المحكم » أنه يقال لها زرافة وزرافة ، بفتح الزاى وضمها^(٢) .

ثم قال في آخر الفصل : « والزرافة الجماعة من الناس وغيرهم . قال محمد بن منذر :

وترى خلفه زرافات خيلٍ جافلاتٍ تمدو بمنل الأسود^(٣)

قال الراد :^(٤) هذا البيت لا حجة له فيه ، لأن صاحبه مولد ، وليس ممن يحتاج بشعره . وإنما الحجة في ذلك قول أبي الغول الطهويّ :^(٥)

قوم إذا الشرأ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا^(٦)

(١) لحن العامة : ١٦٩ .

(٢) اللسان (زرف) .

(٣) لحن العامة : ١٧٠ . والكامل ٦٣/٤ وفي أصل مخطوطة الزبيدي : وترى زرافات — حاملات يعدو كمثل .

(٤) م : وهذا .

(٥) نسبة هذا البيت إلى أبي الغول الطهوي جاءت هنا وفي التنبيه على شرح مشكلات الحماسة « لابن جني » ونسب في شرح ديوان الحماسة ٢٧ / ١ لبعض شعراء بلنبر (وهو قريظ بن أنيف) وفي الخصائص ٢٧٠ / ٢ جاء الشطر الثاني وقبله : قال العنبري (٦) البيت في المراجع السابقة وفي تنقيف اللسان : ١٣٦ وفي الخصائص رواية أخرى : أحدانا .

٤٤ - سكرانة

وقال أيضاً : « ويقولون : سكرانة ، يبنونها على سكران . والصواب : سَكْرَى وسكران ، مثل رَيًّا ورَيَّان . وذكر يعقوب أن قوماً من بني أسد يقولون : سَكْرانة »^(١) .

قال الراد : فإذا قلما قوم من بني أسد^(٢) ، فكيف تلحن بها العامة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا أيضاً كما نطقت بعض قبائل العرب .

٤٥ - باع

وقال أيضاً : « ويقولون : باع ، لأوسع الخطأ . قال أبو بكر : قال أبو علي : الباع ما بين طرفي يدي الإنسان ، إذا مدَّهما يميناً وشمالاً ، ويقال له : بُوع أيضاً »^(٣) .

قال الراد : حكى ابن سيده أن الباع ما بين طرفي يدي الإنسان إذا بسطهما^(٤) . وأن الباع الجسم ، يقال : رجل طويل الباع ، أي الجسم^(٥) ، وجملٌ

(١) لحن العامة : ١٧١ .

(٢) لإصلاح المنطق : ٣٥٨ .

(٣) لحن العامة : ٢٣٢ .

(٤) المحكم : ٢ / ٢٧١ وعبارته : الباع والبُوع والبُوع : مسافة ما بين الكفين

إذا بسطهما .

(٥) المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٢ .

بَوَّاعٌ^(١) ، أَى جَسِيمٌ^(٢) ، وَمَرَّتَبَوَّعٌ : إِذَا مَرَّ بِمَاعِدٍ بَاعَهُ^(٣) ، وَيَمْلَأُ مَا بَيْنَ خَطْوَيْهِ^(٤) . قَالَ الرَّادُّ : فَهَذَا نَحْوُ قَوْلِ الْعَامَّةِ .

٤٦ — فَاكِهَةُ شَتْوِيَّة

وَقَالَ أَيْضاً : « وَيَقُولُونَ : فَاكِهَةُ شَتْوِيَّةٌ . وَالصَّوَابُ : شَتْوِيَّةٌ^(٥) .

وَيَنْسَبُ إِلَى الصَّيْفِ : صَيْفِيٌّ^(٦) ، وَإِلَى الْخَرِيفِ : خَرَفِيٌّ^(٧) ، وَإِلَى الرَّبِيعِ : رَبِيعِيٌّ^(٨) .

قَالَ الرَّادُّ : قَدْ حَكَى سِيدُوِيَهُ أَنَّهُ يُقَالُ فِي النَّسَبِ إِلَى الْخَرِيفِ : خَرِيفِيٌّ^(٩) ، كَمَا تَنْطَقُ بِهِ الْعَامَّةُ . ثُمَّ قَالَ سِيدُوِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : وَالْخَرَفِيٌّ فِي كَلَامِهِمْ أَكْثَرُ مِنَ الْخَرِيفِيِّ ، وَوَقَعَ (١٠ — ١) فِي كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ، عِنْدَ ذِكْرِ الْأَنْوَاءِ ، مِنْ كِتَابِ « النَّبَاتِ » : « الْفَصْلُ الرَّبِيعِيُّ » ، كَمَا تَنْطَقُ بِهِ الْعَامَّةُ . وَهُوَ إِمَامٌ مِنْ أَعْمَةِ اللُّغَةِ . وَلَمْ يَكُنْ لِيَنْطَقُ إِلَّا بِمَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — : « فَالرَّبِيعُ الْأَوَّلُ مِنَ الشِّتَاءِ يُسَمَّى الْفَصْلُ الشَّتْوِيُّ ، وَالرَّبِيعُ الثَّانِي مِنْهُ^(١٠) يُسَمَّى الْفَصْلُ الرَّبِيعِيُّ . وَيُسَمَّى الرَّبِيعُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّيْفِ : الْفَصْلُ الصَّيْفِيُّ ،

(١) مِنْ هُنَا يُبْدَأُ الْحَرْمُ فِي نَسْخَةِ م (رَقْم ٩٩) وَيَشْمَلُ رَدَّ ابْنِ هِشَامٍ عَلَى خَمْسِ عَشْرَةَ مَادَّةً وَبَعْضَ مَادَّةٍ . وَتَلْتَقِي النُّسَخَتَانِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الرَّدِّ عَلَى كَلِمَةِ « قَدَمٌ » وَنُسَجِدُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .

(٢) الْحَكْمُ ٢٧٢/٢ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : سَاعَةٌ . وَالصَّوَابُ مِنَ الْحَكْمِ .

(٤) الْحَكْمُ : ٢٧١/٢ .

(٥) إِلَى هُنَا فِي تَصْحِيحِ التَّصْحِيفِ وَتَحْرِيرِ التَّحْرِيفِ : ١٩٨ . نَقْلًا عَنْ الزَّيْدِيِّ وَلَمْ يَرِدِ النَّصُّ فِي الْمَخْطُوطَةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : مِنْهَا .

ويسمى الربع الثانى منه الفصل الخريفى^(١)، هذا نص كلامه ، رحمه الله .
والدليل على ما قلناه من تحرزه فى المنطق ، واتباعه لكلام العرب ، أنه أتى
بالفصول الثلاثة على ما تعرفه العرب ، وحكاها اللغويون عنها فقال : الشَتْوَى ،
بإسكان التاء . والصَّيْفَى والخَرِيفَى على ما حكى سيبويه . ولم يكن ليُلحَن فى
الرَّبِيعَى لولا ما سمعته من العرب ، أو رواه فى كلامها وأشعارها . ولكن الرَّبِيعَى
يحذف الياء أكثر وأشهر ، كما قال طُفَيْل :

إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبِيعَى حَاجِبُهُ وَالْعَيْنُ بِالْإِئْتِدِ الْحَارِىِّ مَكْجُولٌ^(٢)
وكما قال الآخر^(٣) :

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَنِيفِيُونَ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَ^(٤) لَهُ رَبِيعِيُونَ^(٥)

قال الراد : فلم يبق للعامة فى النسب إلى هذه الفصول ما تلحن فيه على
ما قدمنا ، إلا فى فصل الشتاء ، فإنهم يقولون فيه : شَتْوَى بفتح التاء والصواب
إسكانها ، قال الراعى :

شَرَقَ بِهَا الْأَرْوَاحَ كُلَّ عَشِيَّةٍ رَأْبَ النَّقَى شَتْوِيَّهَا وَسُحُومُهَا^(٦)

(١) الذى نقله صاحب اللسان عن أبى حنيفة : والنسب إليه (الخريف) : خرقى
(يسكون الراء) وخرقى بالتحريك ، كلاهما على غير قياس .

(٢) كتاب سيبويه : ٢٤٠ / ١ والإنصاف : ٧٧٥ والحارِى : منسوب إلى الحيرة
على غير قياس .

(٣) هو سعد بن مالك بن مُصْبِغَةَ (اللسان : ربيع) أو أكرم بن صبيغ (اللسان :
صيف) .

(٤) فى اللسان (ربيع) : كانت .

(٥) الرجز فى إصلاح المنطق : ٢٦٢ واللسان (ربيع ، صيف) .

(٦) استشهد الزبىدى بيت آخر ، هو قول ذى الرمة :

كأنَّ الندى الشَتْوَى يرفضُ ماؤُهُ عَلَى أَشْنَبِ الْأَنْبَابِ مُتَسْقِ الثَّرَى

(تصحيح التصحيف : ١٩٨)

٤٧ - خيزران

وقال أيضاً : « ويقولون للقُضْبُ التي ينخذ الملوكة منها المخامر ، ويعمل منها الأطباق : خيزران . والصواب : خيزُران بالضم »^(١) .

قال الراد : حكى ابن مكي في كتابه المسمى بـ « تنقيف اللسان وتلقيح الجنان » أنه يقال : خيزُران بفتح الزاي ، قال : والضم أكثر^(٢) . قال الراد : فعلى هذا القول لا يكون في كلام العامة لحن .

وقال أبو بكر أيضاً في هذا الفصل : « والعرب تُسمي كُلَّ قَصِيْبٍ لَدُنِ ناعم : خيزُرانا »^(٣) .

قال الراد : حكى ابن سيده في ذلك قولين في كتابه المسمى بـ « المحكم » فقال — رحمه الله — الخيزُران : نبت كُنَى القُضْبَانِ ، أمّلس العبدان^(٤) . وقيل : هو كل شجرٍ لين ، واحده خيزُرانة .

٤٨ - لطخ

وقال أيضاً : « ويقولون : لَطِخَ الرجل بِشَرٍّ . والصواب أن يقال : لَطِخَ ، بالخاء غير معجمة » ثم قال بعد هذا : « وأجاز أبو علي : لَطِخَ أيضاً بالخاء المعجمة »^(٥) . والمعروف ما قدمنا .

(١) لحن العامة : ٨٥ وزيد فيه بعد كلمة الأطباق : خاصة .

(٢) تنقيف اللسان : ٢١١

(٣) لحن العامة : ٨٦

(٤) في اللسان (خزر) عن ابن سيده : الخيزران نبت لين القُضْبَانِ ، أمّلس العبدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم .

(٥) تصحيح التصحيف : ٢٧١ ولم ترد في المخطوطة .

قال الراد : قد حكى اللغويون ، ابن سيده وغيره : لطلخته بِشْرُ الطلّخه
الخلْخَا ، وتلطنخ به : إذا فعله . فإذا حكاه أهل اللغة فكيف تلحن به العامة ،
ويجعله غير معروف .

٤٩ - بسطام

وقال أيضاً : « ويقولون (١٠ - ب) بسطام لاسم الرجل فيفتحون .
والصواب : بسطام بالكسر ، وكذلك كل ما كان من هذا المثال من غير
المضاعف ، لا يجيئ إلا مكسور الأول ، أو مضمومه ، ما خلا حرفاً واحداً ،
رواه الكوفيون ، وهو قولهم : ناقة بها خزعال ، أى ظلم » ^(١) .
قال الراد : قد جاء في الشعر حرف آخر ، وهو قول الشاعر ^(٢) :

* والخليل خارجة من القسطل * ^(٣)

قال الراد : وقوله في الفصل الذى تقدم : « وكذلك كل ما كان من هذا
المثال من غير المضاعف لا يجيئ إلا مكسور الأول أو مضمومه » قال الراد :
إنما يعتبر هذا في الاسم العربى . وأما فى العجمى فلا يعتبر فيه أوزان كلام

(١) الحن العامة : ١٢٩ .

(٢) هو أوس بن حجر (اللسان : قسطل) .

(٣) صدره : * ولنعم مأوى المستضيف إذا دعا *

والبيت منسوب فى الحصائص : ٣ / ٢١٣ واللسان (قسطل) وفيه : قال الأزهري :
جعل أبو عمرو قسطان بفتح القاف فعلانا لا فعلا لا ولم يحز قسطالا ولا كسطالا ، لأنه
ليس فى كلام العرب فعلا من غير المضاعف غير حرف واحد جاء نادراً وهو قولهم :
ناقة بها خزعال . قال ابن سيده : هذا قول الفراء . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه
من قلة فعلا فى غير المضاعف ، وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر . . .

وقال ابن جنى تعليقاً على هذا الشاهد : وقد يمكن أن يكون أراد القسطال فاحتاج
فأتبع الفتحة . ومثله فى الاقتضاب : ٢٧٥ .

العرب ، وبسطام اسم أعجمي . وكذلك حكى أبو الحسن الأخفش ، قال رحمه الله ، في بعض طُرَرِهِ على « الكامل » : الوجه عندى في بسطام ألا يصرف ، لأنه أعجمي^(١) . فإذا كان أعجمياً لم يحمل على أمثلة كلام العرب ، إلا أنه لم يرد إلا بكسر الباء .

٥٠ - كاغظ

وقال أيضاً : « ويقولون : كاغظ بالطاء المعجمة . وأخبرنا أبو على أن الصواب : كاغد ، بالذال غير معجمة . ولا أروى ذلك عن غيره »^(٢) .

قال الراد : حكى ابن سيده كاغذاً بالذال معجمة أيضاً . وكذلك حكى الأستاذ أبو محمد ابن السِّيد : والفتان مشهورتان : كاغد وكاغذ ، بالذال والذال^(٣) .

وحكى أبو القاسم الحسن بن بشر ، مصنف كتاب « الموازنة بين الطائيين » قال : سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغذ فقال : يقال بذال معجمة ، وبذال غير معجمة ، وبالطاء المعجمة . وروى عن « ثعلب » مثل ذلك .

٥١ - القراميد

وقال أيضاً : « ويقولون للذى يُعَلَّى به السقوف : القراميد . قال أبو بكر : والقراميد جمع قَرَمَد ، والقَرَمَد ما طُلِيَ به الحائط من جِصٍّ أو جِيار أو غيره »^(٤) .

(١) الكامل : ٢٢٨ / ١ وفيه : ألا ينصرف .

(٢) لحن العامة : ١٦٤ وقد أضفنا عبارة أخبرنا به أبو على من « تصحيح التصحيح » :

٢٦٠ وفيها : ولا أدري ، بدل : ولا أروى .

(٣) المسان (كغذ) الكاغذ لغة في الكاغد .

(٤) لحن العامة : ٢١٨ .

قال الراد : قد حكى ابن دريد وغيره أن القراميد آجُرٌ يُطْبَخُ ، والواحد قَرْمِيد ، وهو فارسي أعرب^(١) . وكذا حكى يعقوب بن يحيى الأمدى ، فلامعنى لإنكار ما حكاه الأئمة الثقات . قال الراد : فالعامة على هذا إنما تلحن في الواحد ، فتقول : قَرْمَدَة^(٢) ، وإنما واحده قَرْمِيد ، كما تقدم .

٥٢ - أقر فلانا السلام

وقال أيضاً : « ويقولون : أقر فلاناً السلام . والصواب : اقرأ عليه السلام ، كما أشد أبو على :

اقرأ على الوشَلِ السَّلامَ وقل له كلُّ للشاربِ مُذهُجِرَتَ دَمِيمٍ^(٣) »

قال الراد : هذا الذى أنكره قد أجازَه أبو الحسن الأخفش ، وهو من أئمة النحويين (١١ - ١) واللغويين . وقد أجازَه أيضاً غيره . وبيت « حبيب »^(٤) أيضاً يشهد لذلك ، وهو ممن يحتج بشعره لعلمه . وقد احتج بيت من شعره « أبو على الفارسي » في « الإيضاح » وإن كان ذلك لعلمة . قال « حبيب » :

(١) الجهرة : ٣/ ٣٧٥ : قَرْمِيد وهو الآجر بالرومية ، وقد تسكنت به العرب .
(٢) لعل ابن هشام يعنى العامة في عصره ، لأن الزبيدي لم ينقل هذه اللفظة عن العامة ولا نقلها ابن هشام في النسب السابق عن لحن العامة .

(٣) لم يرد في مخطوطة الزبيدي ، وهو في تصحيح التصحيف : ٧٥
والبيت لأبي القمقام الأسدي كما في سمط اللالي : ٣٨٦/١ وشرح الحماسة للمرزوقي ١٣٧٧ وهو في الأمالي : ١٤١/١ ومعجم البلدان (وشل) ونسب لمجنون ليلي (ديوانه ٢٤٦) وروايته . مذ فقدت ، ومثله في الأضداد لابن الأنباري : ٤٢١ .

(٤) هو أبو تمام .

أَقْرَى السَّلَامَ مَعْرَفاً وَمُحَصَّباً من خَالِدٍ الْمَعْرُوفِ وَالْمُهَيَّاءِ (١)
 وإن كان قد غَلَطَهُ أَبُو بَكْرٍ (٢) فيه ، ولم يك « حبيب » ممن يغلط
 في هذا القدر ، لأنه كان من أهل الرواية لأشعار العرب وكلامها . ولو أدرك
 زمانه ، وسمع إنكاره ، لقابله بما قابل به ابن قتيبة . فقد روى أن ابن قتيبة
 عارضه في بعض أبيات شعره ، فقال له : يا أبا تمام أخطأت في قولك :

أَيَا وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ وَوَيْلَ الدَّمْعِ مِنْ إِحْدَى بَلَى (٣)
 فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟ قال : لأن يعقوب قال : شَجِ
 بالتحفيف ولا يشدد . فقال له أبو تمام : من أفصحُ عندك : ابن الجُرْمُقَانِيَّةِ
 يعقوب أم أبو الأسود الدؤلي ، حيث يقول :

وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ فَإِنَّهُ وَصَبُ الْفُؤَادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومٌ (٤)
 فانظر اقتضاه لأبي الأسود ، وأنه لم يقل ذلك حتى عرفه من كلام العرب
 وقد قال أبو ذؤاد الإيادي أيضاً ما يؤيد قول أبي تمام ، وناهيك به حُجَّةٌ :
 مَنْ لِعَيْنٍ بِدَمْعِهَا مَوَلِيَّةٌ وَلِنَفْسٍ بِمَا عَرَاهَا شَجِيَّةٌ (٥)

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٨ وفيه : هذا البيت يروى على وجوه : أجودها
 وألبقها باللفظ أن يقال : أقرى السلام . . ويكون من قرأت على فلان السلام وأقرأته
 غيرى . وتخفف الهذرة ، فإن خففت للضرورة أثبت الياء في الخط ، وإن كانت الهذرة
 خففت قبل أن يرام نظم السلام فلا ضرورة فيها ، وينبغي أن يكتب : أقر بغير ياء لأنها
 في لغة من يقول : قرى في وزن : مضى .

(٢) الزبيدي ، كما نقله عنه الصفدي في تصحيح التصحيح : ٧٥

(٣) الديوان : ٣ / ٣٥١ والاقتضاب : ١٩٧ وفيهما : وبلى الريح ، بدل : وويل الدمع .

(٤) البيت في اللسان (شجا) والاقتضاب : ١٩٧ وفيه : نصب .

(٥) خبر ابن قتيبة وأبي تمام في الاقتضاب : ١٩٧ والبيت في اللسان (شجا)

والامتناب : ١٩٧ وفيهما : بما عاها ، بدل : بما عراها .

وانظر في تشديد الشجي وتخفيفه : ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥١

والسكامل للمبرد : ١ / ٢٨٥ واللسان (شجا) والاقتضاب : ١٩٧ .

٥٣ - وهبت فلاناً مالا

وقال أيضاً : « ويقولون : وهبتُ فلاناً مالا . والصواب : وهبت لفلان مالا » (١) .

قال الراد : هذا الذى ذكر هو قول سيبويه . وحكى السيرافى عن أبى عمرو أنه سمع أعرابياً يقول لآخر : انطلق معى أهبك نبلاً (٢) . فقول العامة على هذا ليس بلحن .

٥٤ - بنة

وقال أيضاً : « ويقولون : طعام ذو بنة : إذا كان ذا طيبٍ ومساغٍ (٣) . وإنما البنة الريح الطيبة ، يقال : شراب ذو بنة ، أى طيب الريح » (٤) .

قال الراد : قوله : والبنة الريح الطيبة ليس بمطرّد ، لأن البنة عند العرب الريح ، وقد تكون طيبة وخبيثة . ومن ذلك قول على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، لرجل من أهل اليمن (٥) : إني أجد منك بنة الغزل (٦) وليس

(١) لحن العامة : ٢٠١ .

(٢) حكاية السيرافى عن أبى عمرو فى اللسان (وهب) .

(٣) فى الأصل : تساغ ، خطأ من الناسخ . والصواب فى الصغدى .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٠١ وفيه : والبنة إذا كان طيب .

(٥) هو الأشعث بن قيس حين جاء إلى على بخطب ابنته .

(٦) اللسان (بن) ونفسه : وإني لأجد بنة الغزل منك . وفى رواية أخرى قال على :

قم لعنك الله حائسكاً فلكتانى أجد منك بنة الغزل . والمراد : وريح الغزل ، قبل كان أبو الأشعث يولع بالنساجة .

الغزل مما يوصف ريحه بالطيب . وقال الخليل — رحمه الله : « وتقول : أجد في الثوب بنة طيبة ، من عرف نُفَّاح أو سَمَرَجِل^(١) فوصف البنة بالطيب دليل على ما ذكرناه .

٥٥ — أفعال من الثلاثي الأجوف

وقال (١١ — ب) أيضاً : « ويقولون في ما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين ، مما لم يُسمَّ فاعله ، بالحق الآلف ، فيبنونه على أَفْعِل ، نحو أبيع الثوب ، وأقيم على الرجل ، وأخيف ، وأدير به . والصواب في هذا كله إسقاط الآلف . فتقول : بيع الثوب ، وخيف الرجل ، ودير به^(٢) .

قال الراد : أما أبيع الثوب فيجوز على لغة من يقول : أبيع الشيء ، بمعنى بيع ، وقد بعته وأبعته بمعنى واحد . حكى ذلك أبو عبيدة . وأنشد للأجدع بن مالك الهمداني :

فرضيتُ آلاء السكيتِ فمن يُبيعُ قَرَساً فليس جوادُنا بِمُباعٍ^(٣)

فقوله : مُباع هو من أبيع لا من يبيع . قال أبو إسحاق الزجاج : باع

(١) اللسان (بن) .

(٢) لحن العامة : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) البيت في الجهرة لابن دريد : ٤٣٦/٣ وفيه : قال أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد . سألت أبا حاتم عن باع وأباع فقال : سألت الأصمعي عن هذا فقال : لا يقال : أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني : ورضيت . . . فقال أي غير معرض للبيع . قال الأصمعي : اعلمها لغة لهم ، يعني أهل اليمن . والبيت أيضاً في المحكم : ١٨٩/٢ وفيه : فرضيت . ويروى : أفلاء السكيت جمع فلو والبيت في الخصم ٢٢٩/١٤ وقوله : باع الرجل متاعه بيعاً وأباعه بمعنى . قال النحويون : أباعه عرضه للبيع ، والمعنيان متقاربان . وفي إصلاح المنطق : ٢٣٥ : وقد أبعث الشيء إذا عرضه للبيع ، وقد بعته أنا من غيري ، قال الهمداني :

الرجل الفرس وأباعه بمعنى واحد^(١) . ذكر ذلك أبو عبيدة . وقال النحويون : أبعث الشيء عَرَضَهُ للبيع^(٢) ، وأقتلت الرجل : عَرَضْتَهُ للقتل . وأما أدير به فقد حكى أبو العباس ثعلب وغيره : دِيرَ بِي وأديرَ بِي ، لغتان فأ [نا]^(٣) مدور بِي ، ومدار بِي .

٥٦ - نَعْنَع

وقال أيضاً : « ويقولون لريحانة طيبة الريح : نَعْنَع ، والصواب : نَعْنَع بضم النونين »^(٤) .

قال الراد : قال ابن سيده في « المحكم » : التَّعْنَعُ والتَّعْنَعُ : بَقْلَةٌ طيبة الريح^(٥) . فذكر أنهما لغتان . وقد قال أبو بكر في آخر هذا الفصل : « وروى بعض اللغويين نَعْنَعاً بالفتح ، والأول أعجب إليّ وأفصح »^(٦) . قال الراد : وإذا كان في الكلمة لغتان ، وكانت إحداها أفصح من الأخرى ، فكيف تلحن بها العامة ، وقد نطقت بها العرب . وإنما تلحن العامة بما لم يتكلم به عربي .

٥٧ - مَقْدَاف

وقال أيضاً : « ويقولون : مَقْدَاف السفينة . والصواب : المِجْدَاف ، وجَدَف المَلَّاحُ يَجْدِف . ومنه جَدَف الطَّائِرُ بِجَنَاحَيْهِ يَجْدِفُ جُدُوفًا ، إذا كان مقصوداً فرأيته كأنه يَرُدُّ جناحيه خلفه ، ويدارك الضرب . ويقال

(١) التخصيص : ١٤ / ٢٢٩ .

(٢) إصلاح المنطق : ٢٣٥ .

(٣) ليست في الأصل .

(٤) لحن العامة : ١١٢ ، ١١٣ .

(٥) المحكم : ١ / ٥٠ ونقل بعد ذلك قول أبي حنيفة إن العامة تقول : نَعْنَع بالفتح .

(٦) في لحن العامة : والأول أفصح وأعرف .

إنه لمجدوف اليد والقميص ، إذا كان قصيراً . فأما جذف بالذال المعجمة فأُسرِع ،^(١) .

قال الراد : قوله : « فأما جَذَف بالذال المعجمة فأُسرِع ، يخرج منه أنه لا يقال : مجذاف بالذال المعجمة . وقد حكى ابن دريد مجذافاً ومجذافاً ، بذال معجمة وغير معجمة . وزعم أنهما لغتان للعرب^(٢) . وكذلك جذف الطائر بجناحيه إذا أُسرِع تحريك جناحيه في طَيَّارِه ، بالذال والذال . وقد حكى اللغويون أَلْمَاطًا تكلمت بها العرب بالذال والذال ، منها بغداد وبغداد (١٢ — ١) ومنجَد ومنجَد للرجل المجرَّب ، وللعنكبوت : اَلْخَذَرْتُ والْخَذَرْتُ . ولأَحْيَى : أَمِ مِلْدَمٌ ومِلْدَمٌ^(٣) . والجَادِيُّ والجَادِيُّ للزعران ، ودَفَفْتُ على الجريح ودَفَفْتُ إذا أُجهزت عليه . وخردلت اللحم وخردلته ، أى قطعته وفرقته . وجدَّ الحبل وجَدَّه ، أى قطعه . وامْدَقَرَّ القوم وامْدَقَرُوا ، إذا تفرقوا . وما ذقت عَدُوفاً ولا عَدُوفاً ، أى ما ذقت شيئاً . وللدواهي : القنادع والقناذع . وكاغَد وكاغَد^(٤) . وهى كثيرة .

٥٨ — طَلَمْتُ الخِيزَةَ

وقال أيضاً : « ويقولون لَطَمْتُ الخِيزَةَ ، إذا صنعها أحدهم بيده . والصواب : طَلَمْتُها بالتخفيف ، أطلَمها^(٥) » وأنى بالحديث شاهداً على الطَّلْمَةِ ، ولم يُتِمَّه . والحديث بتمامه : « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) لحن العامة : ٩٨ .

(٢) الجهرة : ٦٧ / ٢ . ومجداف السفينة بالذال والذال — زعموا — والذال أكثر .

(٣) فى ثمار القلوب : ٢٥٩ قال أصحاب الاشتقاق : هى (ملدم) مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر . وقال بعضهم : ملدم بالذال المعجمة ، من قولهم : لدم به ، إذا لزمه .

(٤) سبق للمؤلف ذكر هاتين اللغتين فى السكاغذ فى رده على الزبيدى . الفقرة ٥٠ .

(٥) لحن العامة : ١١٩ .

ورأى رجلاً يُعالج طُلْمَةً ، وقد عَرِقَ من حَرِّ النار ، وتأذى ، فقال : لا تَمَسْهُ
النارُ أبداً ،^(١) .

٥٩ - قَبِيط

وقال أيضاً : « ويقال للناطف : قُبَيْدٌ . والصواب : قُبَيْطٌ وقُبَيْطَى
على مثال فَعَيْلى . وزعم بعض اللغويين أن من العرب من يخفف ويمد ،
فيقول : قُبَيْطَاء ،^(٢) .

قال الراد : نقصه من اللغات التي ذكر في القُبَيْط : قُبَّاط^(٣) . حكاه
ابن سيده في « المحكم » . فأما قول عامة زماننا : قُبَيْض بالضاد فلحن .

٦٠ - جمع أحد

وقال أيضاً : « ويقولون : مضى لذلك سُبوتٌ وحُدودٌ . والصواب :
آحاد ، وهو جمع أحد ،^(٤) .

قال الراد : كان حقه أن يأتي للأحد بجمع كثير ، لأن فيه وقع اللحن .
وجمه الكثيرُ على فِعال ، كَجَمَلٍ وجمال ، وَجَبَلٍ وِجبال . وكذا جمعه
أبو العباس المبرِّد في كتاب « الزمان »^(٥) .

(١) في النهاية : ٤٤ / ٣ والمصاحح (ظلم) : « وقد عرق ، فقال : لا يصيبه حر
جهنم أبداً » .

(٢) لحن العامة : ١٣٧ وتصحيح التصحيف : ٢٤١ وفيه : ويقولون . بدل : يقال .

(٣) جاءت في اللسان (قبيط) .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٣٣ ولم يرد في المخطوطة .

(٥) ذكره ابن السيد البطليوسى في الاقتضاب : ٤٦٩ بعنوان : الأزمنة .

٦١ - قدوم

وقال أيضاً : « ويقولون قادم ، فيلحقون الألف ، ويجمعونه على قوادم . والصواب : قدوم »^(١) .

قال الراد : كان ينبغي له كما ذكر الصواب في الأفراد أن يذكر الصواب في الجمع ، لأنه لحنهم في الجمع كما لحنهم في الأفراد . ولم يتعرض لذلك . والصواب : أن يجمع على قدُم . قال الأعشى :

أقام به شاهبُور الجنو دِ حوَلينِ يضرب فيه القَدُمُ^(٢)

ويجمع^(٣) أيضاً على قدائم .

ثم قال بعد هذا : « وأخبرني أبو علي أنه يقال لنصاب القدوم الفِعال ، ولم أسمع هذا من غيره ، ولا رأيته لأحد من اللغويين »^(٤) .

قال الراد : هذا القول يخرج من ضمنه أنه لم يذكره أحد منهم في تأليفه . وقد ذكر أبو حنيفة في « النبات » رحمه الله . ويقال لنصاب الفأس : الفِعال ،

(١) لحن العامة : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) الديوان : ٤٣ وفي التخصيص : ١٧ / ٦ :

أطاف فيها ...

(٣) هنا ينتهي الحرم في نسخة م .

(٤) لحن العامة : ١٢٤ ولم تكن كلمة الفِعال في المخطوطة فأثبتناها من هنا .

ولثَقَبها : الخُرْتُ . واحتج على ذلك بيت ابن مقبل ، الذى أتى أبو بكر
بمعجزه . والبيت :

وتروى إذا العيسُ العناقُ تفاضَلَتْ هوىَّ قدومِ القَيْنِ جالِ فَعَالِهَا^(١)

٦٢ - جِير

(١٢-ب) وقال أيضاً : ويقولون للذى يلاط به البيوت أيضاً : جِير .
والصواب : جِيَّار ، على مثال فَعَّال ، وهو الصَّارُوجُ أيضاً^(٢) .

قال الراد : هذا الذى ذكر هو المشهور . وقد وقع الجِيرُ فى شعر
الأعشى ، وهو ميمون بن قيس ، قال :

فأضحت كبنيان التَّهَامِيَّ شَادَهُ بِجِيرٍ وَجِيَّارٍ وَكَلْسٍ وَقَرَمَدٍ^(٣)
فثبت بهذا أنهما لغتان ، بمنزلة السَّطَلِ والسَّيْطَالِ ويروى : بَطِينٍ وَجِيَّارٍ .

٦٣ - أسطوان

وقال أيضاً : « ويقولون أسطوان ، للبيت الذى يُشْرَعُ منه إلى الفناء .
والأسطوانة : السارية^(٤) » .

قال الراد : لم يذكر أبو بكر اسماً للموضع الذى سموه بالأسطوان . واسمه عند
العرب : الدَّهْلِيز^(٥) ، وهو الممر الذى يكون بين باب الدار ووسطها .

(١) ديوان ابن مقبل : ٣٩٠ والمخصص : ١١ / ٢٥ والاسان والتاج (فعل) وقد
أورد الزبيدي معجزه كما ذكر ابن هشام .

(٢) لحن العامة : ١٥٩ .

(٣) الديوان : ١٨٩ وفيه الرواية الثانية : بطين وجيار . .

(٤) لحن العامة : ٢٢٣ .

(٥) جاء فى الصحاح : ٢ / ٨٧٥ أن الدهليز فارسى معرب .

٦٤ - مداج ومداجن

وقال أيضاً : « ويقولون : هو مُداجِنٌ لنا ، إذا كان على مدالسة .
والمداجنة : حسن المخالفة . وقال يعقوب : الدجون الألفة »^(١) .

قال الراد : كان حقه أن يذكر الصواب في ذلك . والصواب أن يقال :
هو مداجٍ لنا ، أى يساترنا بالهداوة ، ويخفيها عنا ، مأخوذ من الدجا وهى
الظلمة . وهذا الذى أرادوا . وإنما غلطوا في الخط ، فجعلوا التنوين للذى في
مداجٍ نونا ، ثم أوقعوا عليه الإعراب . والله أعلم .

٦٥ - عبد مناه

وقال أيضاً : ومما غُلِطَ فيه من الأسماء قول حبيب :

إحدى بنى بكر بن عبد مناهٍ بين السكثيبِ الفردِ فالأمواه^(٢)
والصواب : عبد مناة بالتاء ، مثل عبد يغوث ، وعبد ودّ ، وعبد العزى ،
وهى أصنام كانت العرب تعبد لها . قال الله عز وجل : (ومناة الثالثة
الأخرى)^(٣) .

(١) تصحيح التصحيف : ٢٨١ ولم يرد في المخطوطة .

(٢) ديوان أبى تمام : ٣ / ٣٤٣ وقد علق المرزوقي على البيت بقوله : لحنه بعضهم
في قول مناه . وقال اسم الصنم مناة . قال : اعلم أن هاء التأنيث ، وهاء الضمير ، وهاء
الوقف تحمل العرب بعضها على بعض لتشابهها . والأصل في التأنيث التاء ، بدلالة أنها
تكون حرف الإعراب . وعلق أبو العلاء : اختلف الناس في رواية هذا البيت . روى
مناة بالتاء على غير التصريح . وبعض الناس يعتمد الوقف على الهاء . ولو قال قائل إنه
سام بنى عبد مناه بهاء أصلية ، أخذه من ناه ينوه إذا انتشر ذكره ، لكان ذلك وجهاً قوياً .

(٣) سورة النجم : ٢٠ .

قال الراد : لم يغلط « حبيب » في هذا الاسم ، كما زعم . وإنما أجرى
الوصل مجرى الوقف [ضرورة ، فلما كان الوقف على مناه بالهاء كما يوقف على
على اللات بالهاء ، أجراها في الوصل ذلك المجرى . والعرب كثيراً ما تفعل
ذلك ، تُجرى الوصل مجرى الوقف]^(١) والوقف مجرى الوصل . فما أجرى
فيه الوصل مجرى الوقف قول الشاعر^(٢) :

ببازلٍ وَجَناءٍ أَوْ عَيْهَلٍ^(٣)

وإنما يريد : العَيْهَل

ومن أبيات الكتاب :

ضَخْمٌ يُحِبُّ الْخُلُقَ الْأَضْحَمَ^(٤)

يريد : الأضخم ، لأن التضعيف إنما يلحق الاسم في الوقف ، فأما في
الوصل فالقياس ألا يلحقه التضعيف ، لكن أجرى الوصل مجرى الوقف ،
ضرورة كما قدمنا .

وأما ما أجرى فيه الوقف مجرى الوصل فقول الشاعر :^(٥)

(١) من نسخة م وقد سقط من الأصل . ومن الواضح أن سقوطه بسبب انتقال النظر .

(٢) منظور بن مرثد الأسدي (اللسان : عيهل) .

(٣) كتاب سيبويه : ٢ / ٢٨٢ ونوادير أبي زيد : ٥٣ والإنصاف : ٧٨٠
واللسان والصاح (عيهل) وقبله :

أَنْ نَبْخُلِي يَا جُمْلُ أَوْ تَعْتَلِيَّ

أَوْ تَصْبِغِي فِي الظَّاعِنِ الْمَوْلَى

وبعده : نسل وجد الهائم المعتل

(٤) كتاب سيبويه : ٢ / ٢٨٣ .

(٥) سؤر الذئب (اللسان حجف وشواهد الشافعية ٢٠٠) .

بَلْ جَوَزَ تَبْهَاءَ كَظْهَرِ الْحَبَفَتِ^(١)

وقول الآخر :^(٢)

اللَّهُ نَجَّاكَ بِكَفَى مُسَلَّمَتِ

من بعد ما وبعد ما وبعد ما وبعد ما

صارت نفوسُ القومِ عند الغلصَتِ

وكادت الحُرَّةُ أن تُدعى أُمّت^(٣)

وكذلك تقول في الوقف : هذه طَلَحَتْ . وعليه (١٣ - ١) السلام والرحمة^(٤) . والحكم في هذه كلها أن يوقف عليها بالهاء ، إلا أنه أُجْرِيَ الوقف مجرى الوصل . وهذا يَبَيِّنُ لا إشكال فيه .

٦٦ - ريحان

وقال أيضاً : « ويقولون : رَيْحَانٌ لِلْأَسْ خَاصَّةِ دُونَ الرِّيحَانِ .

والرَّيْحَانُ : كُلُّ نَبْتٍ طِيبِ الرِّيحِ كَالْوَرْدِ ، وَالنُّعْنَوعُ ، وَالنَّمَامُ »^(٥) .

قال الراد : حكى أبو حنيفة في « النبات » أن الرَّيْحَانِ اسم علم

(١) الجهرة : ٣/٣٢١ : بل دب . . والخصائص : ١/٤٠١ و سر صناعة الإعراب : ١/١٧٧ والإتساف : ٣٧٩ .

(٢) أبو النجم (اللسان : ما . وشواهد الشافعية ٢١٨ والخزانة ٢/١٤٨) .

(٣) الرجز بتمامه في الخصائص : ١/٣٠٤ و سر الصناعة : ١/١٧٧ واللسان : ٢٠/٣٦١ .

(٤) الخصائص : ١/٣٠٤ .

(٥) لحن العامة : ٢٣٤ .

للْحَنُوءَةِ^(١) . قال أبو زياد : من العُشْبِ الحَنُوءِ ، وهى قليلة ، وهى شديدة
الخُضرة ، طَيِّبَةُ الرِّيحِ ، وزهرتها صفراء ، وليست بضخمة ، وأنشد
لجميل بثينة :

بها قُضِبُ الرِّيحَانِ تَفْدَى وَحَنُوءٌ ومن كلِّ أَفْوَهِ البَقُولِ بها بَقْلٌ^(٢)

تم الرد على الزُّيْدِي في «لحن العامة»

(١) في المحكم : ٣ / ٣٩١ : والريحانة اسم للحَنُوءَةِ كالعَلَمِ .

(٢) ديوانه : ٢٢٨ واللسان (حنو) .

الفهارس

- * فهرس الآيات القرآنية
- * فهرس الحديث والآثر
- * فهرس الأمثال
- * فهرس الشعر
- * فهرس الرجز
- * فهرس أقوال العامة التي تناولها المؤلف
- * فهرس الأعلام والقبائل
- * فهرس البلدان والمواضع
- * فهرس الكتب

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
وبما أنفقوا من أموالهم	٣٤	النساء	٥٥
وغلقت الأبواب	٢٣	يوسف	٦٧
قل لو أتمتملكون خزائن رحمة ربي	١٠٠	الإسراء	٥٩
ومناة الثالثة الأخرى	٢٠	النجم	٨٧

فهرس الحديث والأثر^(١)

المادة اللغوية	الحديث
(بنة)	قول على — كرم الله وجهه — إني أجد منك بنة الفزل ٨٠
(خضر)	ليس في الحضرات صدقة ٥٧
(طلم)	رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعالج طلمة ٨٤، ٨٣

فهرس الأمثال

المثل
لو ذات سوارٍ لطمتنى ٥٩

فهرس الأشعار

القافية	البحر	الشاعر
(الهزمة)		
المهيجاء	الكامل	أبو تمام ٧٩
(الباء)		
قَلْباً	الطويل	عثمان بن عفان ٥٩
العذبُ	الطويل	نصيب ٦١
صاحبه ^(٢)	الطويل	[بشر بن المغيرة بن المهلب] ٥٣

(١) رتبت الأحاديث على الترتيب المعجمي لمادة الكلمة التي استشهد عليها بالحديث .

(٢) جعلنا المختوم بالهاء في آخر كل حرف من هذا الفهرس .

القافية	البحر	الشاعر	رقم الصفحة
---------	-------	--------	------------

(التاء)

العلاقة	الوافر	جرير	٦٨
---------	--------	------	----

(الدال)

قمر مد	الطويل	الأعشى	٨٦
الأسود	الخفيف	محمد بن منذر	٧١

(الراء)

مستعار	الوافر	بشر بن أبي خازم	٦٨
الذكر	البسيط	جرير	٥٥٦٥٤
اعتصاري	الرملي	[عدى بن زيد]	٦٠

(الزاي)

مغمز	المتقارب	الأخطل	٦٣
------	----------	--------	----

(العين)

بباع	الكامل	الأجدع بن مالك	٨١
------	--------	----------------	----

(القاف)

يأفق	الطويل	الأعشى	٤٦
البنائق	الطويل	[مجنون ليلى]	٤١
بنائقة	الطويل	نصيب	٤١

(اللام)

بالسلاكل	مجزوء الكامل	الأعشى	٦٩
بقل	الطويل	جميل بثينة	٩٠
مكحول	البسيط	طفيل	٧٤
الأوائلي	الطويل	الأحوص	٣٥
السلاسل	الطويل	ذو الرمة	٥٧
القسطال	الكامل	أوس بن حجر	٧٦

رقم الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٣١	عبد المطلب	مجزوء الكامل (ثلاثة ابيات)	حلالك
٣٢	خفاف بن ندبة	الطويل	آلِكا
٣٢	الكيت	الطويل (بيتان)	آلهما
٨٦	ابن مقبل	الطويل	فاملما
٣٣	المتنبي	الكامل	آله

(الميم)

٨٥	الأعشى	المتقارب	القُدُم
٥٩	[التماس]	الطويل	ميسما
٧٨	[أبو القمقام الأسدي]	الكامل	ذميم
٧٩	أبو الأسود الدؤلي	الكامل	مغموم
٦٧	امرؤ القيس	الكامل	مقام
٦٠	جرير	الكامل	العوام
٧٤	الراعي	الكامل	مموئها

(النون)

٧١	أبو الغول الطهري	البسيط	وُحدانا
٣٥	الكيت	الوافر	الذَّوينا
٥٠	الحطيئة	الوافر	المتحدثينا

(الهاء)

٣٥	كعب بن زهير	الوافر	ذووها
٣٥	[أبو العتاهية]	مجزوء الرمل (بيتان)	ذووه
٨٧	أبو تمام	الكامل	فالأموام

(الياء)

٥٣	امرؤ القيس	الوافر	رى
٧٩	أبو تمام	الوافر	بلى
٧٩	أبو دواد الإيادي	الخفيف	شجبة

نصف بيت ، من الطويل :

تري الدم منها مرصدا للعكاير

٦٤

فهرس الرجز

(ب)

عزب ٥٣٥٢ .
(أربعة أبيات)

(ت)

الحسبجتُ
مسلمتُ
[سؤر الذئب]
[أبو النجم]
(أربعة أبيات)

(ق)

الذرقُ
مفتقًا ٤٣ .
(بيتان)
المائق ٤٣ .
(بيتان)

(ل)

سَحْبِلَا ٥٥ .
(بيتان)
أرْمَلَا ٥٦ .
عَيْلٌ ٨٨ .
أذْيَالٌ ٥٠ .
(ثلاثة أبيات)

القافية
حَرَملَه
الرجز
رقم الصفحة

٥٠ (ثلاثة أبيات) [عامر الحصني]

(م)

الأضخمًا ٨٨

(ن)

صيفيون [سعد بن مالك بن ضبيعة ، أو اكثم بن صيفي] ٧٤
(بينان)

فهرس أقوال العامة التي تناولها المؤلف^(١)

(الهمزة)

آله ٣٠
إجاص ٤٧
أردف ٤٩
أرملة ٥٤
أرياح ٤٨
اسطوان ٨٦
أقر فلاناً السلام ٧٨
أنشدت المال ٤٥

(الباء)

باع ٧٢
بحر ٦٠

(١) رتب حسب أوائلها دون تمييز بين الأصلي والمزيد من الحروف فكلمة «الأرياح»
نوضع في باب الهمزة مع الراء ، لا في « روح » . وكلمة « مؤخرة » نوضع في الميم ،
لا في « آخر » .

الكلمة	رقم الصفحة
بسطام	٧٦
بنة	٨٠
بنيقة	٤٠
(الجيم)	
جير	٨٦
(الحاء)	
حدود	٨٤
حير	٣٧
(الحاء)	
خوت	٤٦
خيزران	٧٥
(الدال)	
دالية	٤٧
دفتر	٤٤
(الدال)	
ذاته — الذات	٣٤
(الراء)	
ريحان	٨٩
(الزاي)	
زراعة	٧١
(السين)	
السطل	٣٦
سكراة	٧٢

الكلمة	رقم الصفحة
سودانات	٥٦
(الشين)	
شبع	٥٣
شتوية	٧٣
(الصاد)	
الصارى	٦٩
صحاب	٦٨
(الضاد)	
ضفدع	٥١
ضوية	٣٩
(الطاء)	
طابع	٤٦
طامت الحيزة	٨٣
(الفطاء)	
ظفر	٦١
(العين)	
عزبة — عزباء	٥٢
(الغين)	
غربال	٤٩
غرنوق	٤٢
(القاف)	
قادوم	٨٥
قيبط	٨٤

الكلمة	رقم الصفحة
القراميد	٧٧
قطاطيس	٦٣
قنقط	٤٤

(الكاف)

كاغظ	٧٧
الكلبتان	٥١
كلوة	٧٠
كبر	٣٧

(اللام)

لَطِيخ	٧٥
لَوِي	٥٩

(الميم)

مؤخرة	٧٠
مداج — مداجن	٨٧
مرد	٦٢
مقداف	٨٢
مَكْنَى	٥٨
مناء	٨٧

(النون)

نبلة	٤٣
نفع	٨٢

(الواو)

وتد	٤٥
وهب فلاناً	٨٠

(الياء)

يَتَهَكَّم ٦٢

أخطاء عامة أجملها المؤلف

ما جاء على فَعَلَت ، والعامية تكسره ٦٤

ما جاء على فَعَلَت ، والعامية تفتحه ٦٥

فعلت وأفعلت ٦٦

أفعلت وفعلت ٦٦

فهرس الأعلام والقبائل

- أبرهة الأنثرم ٣١
الأجدع بن مالك الهمداني ٨١
الأحوص ٣٤
الأخطل ٦٣
الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة . أبو الحسن) ٧٨ ، ٧٧
الأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد . أبو الخطاب) ٥٨
أبو إسحاق الطرابلسي النحوي ٥٧
بنو أسد ٧٢ ، ٤٨
أبو الأسود الدؤلي ٧٩ .
الأصمعي (عبد الملك بن قُريْب) ٦٩ ، ٦١ ، ٥٧
ابن الأعرابي (اللغوي . محمد بن زياد) ٥٤
الأعشى (الكبير . ييمون بن قيس) ٨٦ ، ٨٥ ، ٦٩
امرؤ القيس ٦٧ ، ٥٣
الأموي (عبد الله بن سعيد) ٦٠
بنو أمية ٣١
ابن الأنباري (محمد بن القاسم . أبو بكر) ٥٥
أهل الشام ٤٧
أهل اليمن ٨٠ ، ٧٠
بشر بن أبي خازم ٦٨
البصريون ٦٠ ، ٣٩
أبو تمام (حبيب بن أوس) ٨٨ ، ٨٧ ، ٧٩ ، ٧٨
بنو تميم ٣٨
نعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى) ٨٢ ، ٧٧ ، ٥٨ ، ٥٢ ، ٤٦
جرير بن عطية (الشاعر) ٦٧ ، ٥٤
أبو جعفر النحاس ٣٠

جميل بن عبد الله (جميل ثينة) ٩٠

ابن جنى (عثمان) ٦١ ، ٤٤ ، ٣٣

أبو حاتم السجستاني ٤٢

الحاتمي (محمد بن الحسن بن المظفر) ٣٣

الحسن بن بشر الآدي (أبو القاسم) ٧٧

الخطيئة ٥٠

أبو حنيفة الدينوري ٨٩ ، ٨٥ ، ٧٣ ، ٤٨ ، ٤٧

ابن خالويه (الحسين بن أحمد) ٣٣

خفاف بن ندبة ٣٢

الخليل بن أحمد ٨١ ، ٥٨ ، ٥٢ ، ٤٢ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦

ابن دريد (محمد بن الحسن . أبو بكر) ٦٧ ، ٤١ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٧ ،

٨٣ ، ٧٨

أبو دواد الإيادي ٧٩

ذو الرمة ٥٧

الراعي النخري ٧٤

رملة بنت عبيد الله بن خلف ٣٨

رؤبة بن المعجاج ٣٨

الزجاج (إبراهيم بن السري . أبو إسحاق) ٨١ ، ٥٢

أبو زياد ٩٠

ابن السكيت (يعقوب) ٧٩ ، ٤٥

سلمة بن عاصم ٥٨

سبيويه ٨٠ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٢ ، ٥٦ ، ٤٢ ، ٣٥

ابن السَّيِّد البطليوسي (أبو محمد) ٧٧ ، ٤٧ ، ٣٣

ابن سيده (علي بن إسماعيل) ٦٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٢ ،

٨٤ ، ٨٢ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٦

السيرافي ٨٤ ، ٤٢

صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي ٦٤

طفيل ٧٤ .

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ٣٨

ابن عباد (إسماعيل بن عباد ، الصاحب) ٣٣

عبد المطلب بن هاشم ٣١

عبد الملك بن مروان ٣١

عبد مناه ٨٧

أبو عبيد (القاسم بن سلام) ٦٠ ، ٣٨

أبو عبيدة (معمّر بن المنقذ) ٨٢ ، ٨١

عثمان بن عفان ٥٩

علي بن أبي طالب ٨٠

أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم) ٨٥ ، ٨٨ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ٣٧ ، ٣٥

عمر بن عبيد الله بن معمّر ٣٨

أبو عمرو الشيباني (إسحاق بن مرار) ٨٠ ، ٣٨

أبو الغول الطهوي ٧١

ابن فارس (أحمد . أبو الحسن) ٦١

الفارسي (الحسن بن أحمد . أبو علي) ٧٨ ، ٦٨

الفراء (يحيى بن زياد . أبو زكريا) ٥٨

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ٧٩ ، ٥٥

قريش ٣٢

الكسائي (علي بن حمزة) ٥٨ ، ٣٤ ، ٣٠

كعب بن زهير ٣٥

الكهيت ٣٥ ، ٣٢

الكوفيون ٧٦ ، ٣٩

اللّحياني (علي بن حازم) ٤٨

المبرد (محمد بن يزيد . أبو العباس) ٨٤ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٣٠

المتنبي ٣٣

محمد بن منذر ٧١

- معاوية بن أبي سفيان ٣٠
 ابن مقبل (الشاعر) ٨٦
 ابن مكي الصقلي (عمر بن خلف) ٧٥
 أبو نصر (أحمد بن حاتم) ٦٩
 نصيب ٦١ ، ٤١ ، ٤٠
 الوحيد (سعد بن محمد بن علي) ٣٣
 ابن وكيع (الحسن بن علي التنبسي) ٣٣
 يعقوب بن يحيى الأمدى ٧٨
 يونس بن حبيب ٦٨

فهرس البلدان والمواضع

- أرض العرب ٤٨
 البصرة ٣٧
 بغداد ٨٣
 حائر الحجاج ٣٧
 حمراء الأسد ٥٧
 الشام ٣١
 الكعبة ٣١
 للدينة ٥٧ ، ٣١
 اليمن ٤٧ ، ٣٦

فهرس الكتب

- الإيضاح ، لأبي علي الفارسي ٧٨
 تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكي ٧٥
 الزمان للمبرد ٨٤
 طرر على الكامل ، لأبي الحسن الأخفش ٧٧
 الفصوص لصاعد البغدادي ٦٤

الكامل المبرد ٧٧، ٣٦، ٣٠

الكتاب لسيويه ٨٨

كتاب الطير ، لأبي حاتم السجستاني ٤٢

كتاب العين للخليل ٥٢

المجمل ، لابن فارس ٦١

المحكم ، لابن سيده ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٧١، ٧٥، ٨٢

الموازنة بين الطائنين للآمدى ٧٧

النبات لأبي حنيفة الدينورى ٧٣، ٨٥، ٨٩

النوادر للحياى ٤٨

مراجع التحقيق

اولا — المخطوطات :

ديوان المتلمس نسخة الشنقيطى بدار الكتب المصرية

تصحیح التصحيف وتحرير التحريف : لصلاح الدين الصفدى — دار الكتب

المصرية ٣٧ لغة الزكية

المقصود والممدود : لأبى على القالى — دار الكتب المصرية ١٨٤ لغة

المنجد : اكراع النمل (على بن الحسن الهنائى) — دار الكتب المصرية

٤٩٠ لغة

ثانياً — المطبوعات :

أساس البلاغة : للزمخشري . دار الكتب المصرية

إصلاح المنطق : لابن السكيت — تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد

هارون ذخائر العرب — ط ثانية — ١٩٥٦

الأصمعيات : اختيار عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعى — تحقيق أحمد محمد

شاكر وعبد السلام محمد هارون — دار المعارف ١٩٥٥

الأضداد : لمحمد بن القاسم الأنبارى . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم — ط

وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت — ١٩٦٠

الأغاني : لأبى الفرج الأصفهاني — ط دار الكتب المصرية (١ - ١٦)

وط . ساسى

الاقتضاب شرح أدب الكتاب : لابن السَّيد البطلوسى — ط المطبعة الأديّة

فى بيروت ١٩٠١

إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين : دار المعارف بمصر ١٩٦٣

الأمالى : لأبى على القالى — ط مطبعة دار الكتب المصرية — ١٩٢٦

الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : لأبى البركات
عبد الرحمن بن محمد الأنبارى . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — المكتبة
التجارية ١٩٦١

بغية الوفاء فى طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى —

تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم . الحلبي ١٩٦٥

تاج المروس ، شرح القاموس : للزبيدي . القاهرة

تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : لابن مكى الصقلى — تحقيق الدكتور عبد العزيز

مطر — ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

تقويم اللسان : لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى — تحقيق الدكتور

عبد العزيز مطر — دار المعرفة ١٩٦٦

التلويح شرح الفصيح : لأبى سهل المروى — مطبعة وادى النيل ١٢٨٥ هـ

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب : لأبى منصور الثعالبي — ط مطبعة الظاهر

بالقاهرة ١٣٢٦ هـ

الجمهرة (جمهرة اللغة) : لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد — ط حيدر آباد

الدكن — ١٣٤٥ هـ

خزاة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي — ط

بولاق ١٢٩٩ هـ

الخصائص : لأبى الفتح عثمان بن جنى — تحقيق محمد على النجار — ط دار الكتب

المصرية ١٩٥٢ — ١٩٥٦

درة النواص فى أوهام الخواص : للقاسم بن على الحريرى — ط الجوائب

١٢٩٩ هـ . وط ليسك ١٨٧١ م

ديوان الأعشى : تحقيق الدكتور محمد حسين — مكتبة الآداب ١٩٥٠

ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم — ذخائر العرب —

دار المعارف — ١٩٥٨

- ديوان أوس بن حجر : تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم — بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان جرير : شرح عبد الله الصاوى — ط التجارية بمصر ١٣٥٣ هـ
- ديوان جميل بثينة : تحقيق عبد الستار فراج — ط مكتبة مصر ١٩٦٠
- ديوان الخطيب : تحقيق عيسى سابا — ط صادر . بيروت
- ديوان ذى الرمة : ط كبردج ١٩١٩
- ديوان عدى بن زيد : تحقيق محمد عبد الجبار المعيد — نشر وزارة الثقافة العراقية ١٩٦٦
- ديوان مجنون ليلى : تحقيق عبد الستار فراج — مكتبة مصر
- ديوان المعاني : لأبى هلال العسكري — مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
- الروض الأنف : للسهيلى — ط الجمالية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ
- سر صناعة الإعراب : لأبى الفتح عثمان بن جنى — الجزء الأول — تحقيق مصطفى السقا وآخرين — ط مصطفى البابى الحلبي — ١٩٥٤
- مخط اللآلى فى شرح أمالى القالى : لأبى عبيد البكرى — تحقيق عبد العزيز المينى لجنة التأليف بالقاهرة — ١٩٣٦
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — ط السادة بالقاهرة
- شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى : تحقيق الدكتور محمد عبده عزام — ذخائر العرب بدار المعارف ١٩٥١ — ١٩٦٤
- شرح ديوان كعب بن زهير : دار الكتب المصرية — ١٩٥٠
- شرح ديوان الحماسة : لأبى على المرزوقى — تحقيق عبد السلام هارون — ط لجنة التأليف بالقاهرة ١٩٥٢
- شرح شواهد الشافية ، للرضى . تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد . التجارية بالقاهرة
- شرح الشواهد للعنى : ط بولاق ١٢٩٩ هـ على هامش خزانة الأدب
- شرح المفصل : لابن يعش — ط المنيرية بالقاهرة
- الصحاح للجوهري : تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . القاهرة
- طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز : تحقيق عبد الستار فراج — ذخائر العرب دار المعارف ١٣٧٥ هـ

العربية ليوهان فك : ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . ط الخانجي بالقاهرة
عيون الأخبار : لابن قتيبة — دار الكتب المصرية ١٩٢٥ — ١٩٣٠
القاموس المحيط . للفيروز اباذى . القاهرة
قلائد العقيان للفتح بن خاقان — ط بولاق
السكامل فى اللغة والأدب . لأبى العباس للبرد . ط الحلبي ١٩٣٦ ، ونهضة
مصر ١٩٥٦ .

الكتاب لسيويه — ط بولاق — ١٣١٦ — ١٣١٧ هـ
لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . تأليف الدكتور عبد العزيز مطر .
دار الكتاب العربى — ١٩٦٦

لسان العرب — لابن منظور — ط بولاق
ليس فى كلام العرب : للحسين بن خالويه — تحقيق أحمد عبد الغفور عطار —
دار مصر للطباعة ١٩٥٧

مجالس العلماء : لأبى القاسم الزجاجى — تحقيق عبد السلام هارون —
الكويت ١٩٦٢
مجلة مجمع اللغة العربية . المجلد الثامن

مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية . المجلد الثالث ١٩٥٧
مجمع الأمثال : لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى الميدانى — ط مطبعة السنة
المحمدية ١٩٥٥

المحكم : لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده . نشر معهد
المخطوطات بجامعة الدول العربية . الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ . تحقيق د حسين
نصار وعبد الستار فراج ود عائشة عبد الرحمن

المختصص : لابن سيده . ط بولاق
معجم البلدان : لياقوت الحموى ط ليبسك ١٨٦٦ م
المعرب : لأبى منصور الجوالقي : تحقيق أحمد محمد شاكر . ط دار
الكتب المصرية

معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق عبد السلام هارون . ط عيسى الحلبي
القاهرة ١٩٤٥ م

معنى اللبيب : لابن هشام . القاهرة

نهاية الأرب : للنويرى — ط دار الكتب المصرية

النهاية فى غريب الحديث والآثر : لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى .

المعروف بابن الأثير — المطبعة الخيرية ١٣٢٢ هـ

نوادر أبى زيد الأنصارى — ط المطبعة الكاثوليكية — ١٣٠٨ هـ

وفيات الأعيان : لأبى العباس أحمد بن محمد . ابن خلكان — تحقيق محمد محي

الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٤٨ م

مثلى الطريقة فى ذم الوثيئة

للوزير لسان الدين بن الخطيب

بقلم : عبد الحفيظ منصور

مقدمة

موضوعه وترتيبه :

قال : ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب :

- ١ — جواز الإجارة فيها عند العلماء .
- ٢ — فى الشركة المستعملة بين أربابها .
- ٣ — فى محلها من الورع إن سوغها الفقه .
- ٤ — فى منزلتها من الصنائع والمهن .
- ٥ — فى أحوال منتحلها من حيث العلم غالباً .
- ٦ — فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه .
- ٧ — فى رد بعض ما يحتج به فيها .

نسخه :

عثر على نسختين من مثلى الطريقة :

(الأولى) ضمن مجموع رقم 5094 بالمكتبة الأحمدية بتونس — من الورقة 71 إلى 81 وجاء فى آخرها : قال مكل كتابته العبد الفقير راجى لطف رب العرش عبده محمد بن على بن محمد العشر ، أحد عدول مدينة تونس ، ستر الله

عبيه وغفر ذنبه : نجزت كتابته ليلة الجمعة ثالث عشر شوال المبارك لسنة 1183 هـ من نسخة مؤرخة بأواخر شعبان سنة ثمانية عشر ومائة وألف ، بخط الفقيه أبي القاسم بن سعيد الجبالي ، قال فيها : كتبها بتونس من نسخة مؤرخة بعاشر محرم عام اثني عشر وألف بخط الشيخ الإمام الشهير أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ ، قال فيها : كتبها بتلعسان من نسخة بخط الشيخ الإمام أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوائشريسي ، قال فيها : وكان الفراغ منها صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر جادى الأولى عام أربعة وستين وثمانمائة .

غير أن هذه النسخة سقيمة لكثرة ما جاء فيها من تحريف ، رغم اتقانها إلى أصل يعتمد بصحته .

(الثانية) نسخة بالمكتبة الصادقية رقم 32 (من أصل مكتبة رضوان) ، بخط مغربي واضح تمتاز عن الأولى بصحتها ، وقلة ما بها من أخطاء رسمية ، مع أنها نسخت والأولى من أصل واحد ، إذ جاء على وجه الورقة الأولى منها : وجدت في النسخة المنقولة منها هذه أن الشيخ الإمام الشهير أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله ، قال : وجدت بظهر أول ورقة من هذا الكتاب بخط الشيخ الكبير المفتي أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوائشريسي رحمه الله مانصه : الحمد لله ، جامع هذا الكلام ، المقيد بهذا الزمام ، قد كد نفسه في شيء لا يفي الأفاضل ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل ، وأقنى طائفة من نفيس عمره في التماس مساوى طائفة بهم تستباح الفروج ، وتملك مشيدات الدور والبروج ، وجعلهم أضحوكة لذوى الفتنك والمجانة ، وانزع عنهم جلابيب الصدق والديانة ، سامحه الله وغفر له ، قال ذلك وخطه يمينى يده عبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الوائشريسي ، كان الله له آمين .

وقد اعتمدت النسخة الثانية للأسباب المذكورة ، وهى تقع فى عشر ورقات مقاس 19 X 14 . ورمزت للأولى بحرف (ب) .

التعريف بالمؤلف :

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني ، اللوشى ، الفرناطى ، الأندلسى (أبو عبد الله ، لسان الدين ، ابن الخطيب ، ذو الوزارتين ، ذو العمرين) ، أديب ناثر شاعر ، مؤرخ ، مشارك فى الطب

وغيره ، من الوزراء ، ولد بلوشة في (25 رجب سنة 713 هـ = 1313 م) ، ونشأ
 بقرناطة ، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ، ثم ابنه الغنى
 بالله محمد من بعده ، وعظمت مكانته ، وشعر بسعى حاسديه في الوشاية به ،
 فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي المريني برغبته في الرحلة إليه ، وترك
 الأندلس خلسة إلى جبل طارق ، ومنه إلى سبتة وتلمسان . وكان السلطان عبد العزيز
 بها ، فبالغ في إكرامه ، واستقر بفاس القديمة ، ثم تولى المغرب السلطان المستنصر
 أحمد بن إبراهيم ، وقد ساعده الغنى بالله صاحب قرناطة مشرطاً عليه
 شروطاً منها تسليمه ابن الخطيب ، فقبض عليه المستنصر ، ووجهت إليه تهمة
 الزندقة ، وسلوك مذهب الفلاسفة ، وسجن ، وقتل فيه خنقاً ، فاتح عام 776 هـ =
 1374 م ، ودفن في مقبرة باب المحروق بفاس ، وكان رحمه الله أيام امتحانه
 بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتهجس هوائفه بالشعر يبكي نفسه ، ومما قال
 في ذلك :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفسنا سكنت دفعة	كهجر الصلاة تلاها القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما	وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس مماء العلى	غربن فتاحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الطبا	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سبق للقبر في خرقه	فقى ملئت من كساء النخوت
فقل للعدى ذهب ابن الخطيب	وفات ، ومن ذا الذى لا يفوت
ومن كان يفرح منهم به	فقل يفرح اليوم من لا يموت

ولقد ترجم لنفسه بآخر كتابه الإحاطة ، وعرف به بتوسع أحمد المقرئ
 في كتاب نفع الطيب ، وعد تصانيفه نحو الستين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة

للشيخ الكاتب الرئيس عبد الله ابن الخطيب
سأحه الله آمين

أما بعد حمد الله الذى قدر الحكم وأحكمه ، وبين الحلال من الحرام بما أوضحه من الأحكام وعلمه ، ونوع جنس المعاش وقسمه ، وماز كل نوع منه ووصفه ، فأثبتته متفاوتا فى درجات التفضيل ورسمه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى فضله على الأنبياء ، وقربه وكرمه ، وطهر من دنس الشبهات شيمه ، فما استعمله فى غير طاعة ولا استخدمه ، ولا أعمل فى سوى البر والهدى بنانه ولا قدمه ، والرضى عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه ، واستظهروا ديمه ، وتواصوا من أجله بالصبر^(١) وتواصوا بالرحمة ، فهذا كتاب سميت به « مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة » دعا إلى جمعه قلة الإنصاف من المداهن والمعاص ، والمباهنة فى مدرك النور الباصر ، ورضى مظنة النبل منهم بالباع القاصر ، والمناضلة عن الحمى الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر ، ولوضعه حكاية ، وانفته شكاية ، إذ معرفة الأشياء بعلمها مما يتشوف إليه ، ويحرض^(٢) عليه ، وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله مستخلصاً بشفاعه الخلافة ذات الإنافة ، مستدعى برسالة الإيالة ذات الجلالة ، فانسحب والمنة لله الستر ، وانفسح الفتر ، وشفع من النعم الوتر ، واقتدى المرؤوس بالرئيس ، وتنافس الأعلام فى التأنيس ، واتصل الاحتفاء والاستدعاء ، وانتخب الموعى بالوعاء ، وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء

(١) بالبر (ب) .

(٢) وبجرس (ب) .

والطبيب والدعاء ، تعرفت فيمن جمعه الأخونة ، والمرأى المتعينة ، برجل من نهاء موثقها ، غرّني / بخيلة البشاشة التي يستفز (١) لها الغريب ، ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب ، فأنت بمكانه ، واستظهرت على ما يعرض من مكتب بدكانه ، وشأنى في الاغبط بمن عرفت شأنه ، فاست للعفت بشانى ، واسترسالى حتى لمن أسالى عنانى :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ضيرى يتلوه يدي ولسانى

ولم يك إلا أن حلت بمدينة سلا حرسها الله ، مقصود المحل ، وإن زعم (٢) للدهر الذى رمى فأقصد ، معتمداً بفتوحات الله ، وإن أرتج الباب بزعمه وأوصد (٣) ، مصحياً بمد عناية ، وإن كن وأرصد (٤) ، لا يمر فاضل إلا عرج على مئوى ، وآتى من البرفوق هوأى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (٥) ، وتعرفت عن صاحبى الفاسى ، أنه قدم علينا من سخرة عملية ، فلى لها الدو المنوبة ، وتخال المسنة المرهوبة ، واغذى الأطعمة التى مزقتها الدروع ، ومطابخها الحلى المروع ، واستقر بالمدينة بعد أزلان وضرع ، وجدل (٦) وصرع نائق البغلة كاسد الورع ، ونزل بمئوى خول ، ومحط مجهول ، وكف بمقوت ، وجوار لا ييخل بغيبة ولا يسمح بقوت ، فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد ، ويغتاب (٧) الشارد ، وقد أغرب بغراء الاحتفاء والاحتفال ، واجتنب الإغفاء والإغفال ، وجهازت السرايا إلى التماس نعم الله فحات الأنفال ، فلما عرض عليه الدعوة تعجرف ونفر ، وب مسح عطفه بالاستئزال زنا وظفر (٨) حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر ، وراب يحمل عذراً بارداً ، واحتجاجاً شارداً ، فأقطمته جانب شماسه ، وخلت بينه وبين وسواسه ، ومن

(٢) رغم (ب) .

(٤) وأرعد (ب) .

(١) يسفر (ب) .

(٣) وأوعد (ب) .

(٥) الآية رقم ١٨ سورة النحل .

(٧) ويقتاد (ب) .

(٦) ويدل (ب) .

(٨) زنا ، زنا : ضاق . ومنه زنا الظل : دنا بعضه من بعض أى قاص . طفر ، طفرأ

وطفورا ، أى قفز ، وتخطى إلى ما وراء .

الغد قصدني فاعتذر ، وأكثر الهذر ، ولم يثبت الله النبات الحسن شيئاً مما بذر ،
وكان جوابي إياه ما نصه :

أيتهم دعوتي إما لبأو	وتأبى لؤمه مثلى الطريقه
وبالمختار للناس اقتداء	وقد حضر الولية والعميقه
وغير غريبة لمن رق حر	على من حاله مثلى رقيقه
وإما زاجر الورع اقتضاها	ويأبى ذاك دكان الوثيقه
/وغشيان المنازل لاختبار	يطلب بالجليلة والدقيقه
شكرت مخيلة كانت مجازا	وقد حصلت بعد على الحنيقه

2 ب

وذاع خبرها فعليت عنها الجيوب ، وكلف بها الطالب والمطلوب ، وهش
إلى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ، ممن يحوم حول الإدراك ، ويروم درجة
الاختصاص لبعض الفنون والاشتراك ، وله في الأدب مساس ، وحلب^(١) وإبسار ،
بما نصه :

رسولك لم يبين لي عن طريقه	تقرب من حديقتنا الأنيقه
فلا بأو لدى ولا إباء	ولكن ساء في العرض الطريقه
وهب أنى أسأت فكم صديق	تدل واعتدى ، نجفا صديقه
ولا عجب فديت لرفق حر	يسكن عن مذمته رفيقه
وإني فيك معتقد ولكن	أرى الأيام صادقة حنيقه
على ذي الود ممن ود حتى	يفارقه وإن أضحي فريقه

فراجعته بما نصه لما أسلفته جزاء مصاعه وكلت له بصاعه :

من استغضبت من هذى الخليقه	بمغضبة بانكار خليقه
ولم يغضب فتيس أو حمار	مجازا لالعمري بل حقيقه
بعثت بمرسلي لك مع عتيقه	فلم تطع الرسول ولا عتيقه
وطوقت السفير الذنب لما	عجلت به ولم تبلمه ريقه
إمام جماعة وقريع تقوى	ومبلغ حجة وحفيظ شيقه

(١) ودلب (ب) .

فبنت بها على الأيام دار عن الآلاء تغنى عنه فيقه
وقد عارضت عذرك باعتراف فزدت مذمة تسم الطريقه
وهل بعد اعتراف من نزاع وهل بعد افتصال من وثيقه
ومن جهل الحقوق أضاع نفسه يبحر الجهل راسية غريقه
ومنجى نيقه أمر بعيد إذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ وأقصر ، ورد الأمر بطول فاخصر ، إلا أنه نغالى عنه
3 قوله : / إن دكان الوثيقة أزنى فى الورع بغير بلده ، وأذهلته لذة لدده ، عما هو
بصدده ، فارتفعت له أن أسلم الدعوى بما يسلمه النصف المساهل ، وينكره
الأرعن الجاهل ، وتشدد به المنازل والمناهل ، والمعالم والمجاهل ، مستنداً إلى
الحكم الشرعى ، والستر المرعى ، والمشاهدة والحس ، وشهادة الجن والإنس
ولو ترك القطا يوماً لنا
والله يجعله موقظاً من السنوات وازعاً عن كثير من الهنات ، وينفع فيه بالنية ،
فإنما الأعمال بالنيات ، وها أنا أبندى وعلى الله الإعانة ، وبجوله وقوته
الإفصاح والإبانة (١) .

قلت : ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب :
الباب الأول : فى جواز الإجارة فيها عند العلماء .
الباب الثانى : فى الشركة المستعملة بين أربابها .
الباب الثالث : فى محلها من الورع إن سوغها الفقه .
الباب الرابع : فى منزلتها من الصنائع والمهن .
الباب الخامس : فى أحوال منتحليها من حيث العلم غالباً .
الباب السادس : فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه .
الباب السابع : فى رد بعض ما يحتج به فيها .
الباب الأول : فى إيجارتها عند العلماء . قلت : وطلب الإجارة فى عمل الوثيقة
على اقتراضه بخلاف ما هو عليه اليوم ، وذلك بالآيتيمى المستأجر قيمة عمله
فضلاً عن الاستزادة والتصريح ، وطرح محقر المبدول ، واسترجاع المكتوب .

والأخذ بالعظم^(١) في ضرورة الأداء ، وهذا اليوم فاش يشهد به الجرم الفقير والسواد الأعظم ، وتصدقه الخبرة ، ويجلوه العرف والعادة ، ويتراعى إلى أقصى حدود الاستفاضة ، فكيف به على خلاف هذه الصورة بما لا يشمله على الإطلاق التسوين في الشرع ، ولا ينبغي على التقييد والإطلاق الورع ، قال صاحب كتاب المناهج الشارح للمدونة^(٢) عند الكلام في أجر الوثيقة ما نصه: « إن كان يكتب الوثيقة ولا يشهد فيها ، فلا إشكال في جواز أخذ الأجرة على ذلك » يعنى أنه يجري مجرى كتاب الرسائل والوراقين ، وفي نفيه الإشكال عن الكتاب للوثيقة / مع الاختصار عليها دون الشهادة ، وإن أوهمت حاله^(٣) الورع نظر ، فإن بعض العلماء يرى أن قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾^(٤) ، فرض كفاية وهو قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي^(٥) رضى الله عنه ، وحسبك نظره ، حتى إنه لم يوجد أحد يكتب إلا ذلك الواحد ، وجبت عليه الكتابة ، وإذا كان ذلك واجباً عليه فكيف يجوز أخذ الإجارة عليه ، ومن القواعد أن ما أوجب الله تعالى على عبده لا يجوز أخذ الأجر عليه ، كما نقاذ الفرق وشبهه للقادر عليه ، فرفع الإشكال مع تقرير ما قلناه مما لا يهمل لحظه ، وظاهر الآية الكريمة أن الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بالعلم ومعرفة أحكام الشريعة ، وجب عليه أن يكتب شاكراً لتلك النعمة ، ويكون في الآية معنى الجزاء والمقارضة ، كقوله ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾^(٦) .

(١) بالكظم (ب) .

(٢) مناهج التحصيل ونتائج الطوائف التأويل على كشف أسرار المدونة ، ذكر ابن فرحون في الديباج ص ٢٧٤ : محمد أبو بكر بن عبد الله بن يونس التميمي ، صقل ، ألف كتباً جامعاً للمدونة أضاف إليها غيرها من الأملات وعابه اعتماد طلبة العلم المذاكرة ، توفي ٤٥١ هـ وجاء في بروكلمان ذيل ١ / ٣٠٠ : مناهج التحصيل ...

(٣) حالة (ب) .

(٤) الآية رقم ١٨٢ سورة البقرة .

(٥) محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، ولد بفترة سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر

سنة ٢٠٤ هـ .

(٦) الآية ٧٧ سورة القصص .

وقد أشار إلى ذلك الإمام الفخر^(١) رضى الله عنه في تفسيره^(٢) ، وعلى فرض أن يحيز النظر أخذ الإجارة لكتاب الوثيقة فقط من غير تلبس بالشهادة ، فلا يحيزه الورع لمحل الشبهة ، وما يريب من يستبرى لدينه في أخذها من مفهوم الآية الكريمة ، أو بعض مفهوماتها إن احتملت غيره ، وإن كان يكتب الوثيقة ويشهد فيها ، وقد استمر عملهم في مشارق الأرض ومغاربها على أخذ الإجارة على ذلك ، واتخذوا لذلك في أمهات البلدان أسواقاً يجلسون فيها لبيع الشهادة ، ورأوا ذلك من أطيب المباحات^(٣) ، ويأبى شعري من أين أخذوا ذلك ، هل وجدوا نصاً للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس^(٤) رضى الله عنه ، أو لأحد أصحابه ، أو غيرهم ، هيئات هيئات الغريق يتعلق بأرجل الضمادع ، ثم قال : ولا متمسك لهم فيما وقع من أن الشهادة إن كانت عند أحد لأحد بالبادية ، وعسر عايه الإتيان لأدائها في الحاضرة أن يكرى له دابة يأتي عليها ، لأن ذلك ليس إجارة ، بل من باب من أراد أن يقوم لأداء شهادة فتقل عليه القيام ، وأخذ الأجر بيده حتى قام ، قلت : يتضمن هذا الفصل فائدتين : إحداهما / في عدم جواز أخذ الإجارة لكتاب الوثيقة فقط بالنظر إلى أظهر مفهومات الآية الكريمة مع الشهادة مطلقاً بالنظر إلى الفقه فضلاً عن الورع ، وثانيهما الشهادة لمدعى باسم الطريقة بكل زمان ومكان ، وهذا القدر يغنى عن الإطالة .

4

الباب الثاني : في الشركة المستعملة بين أربابها ، قال وما يفعله الشهود ، أن يجلس اثنان منهم فأكثر في حانوت واحدة على جهة الشركة^(٥) فيما يقع من الأجرة ، وهذا أيضاً مما يسمع^(٦) جحدته وإنكاره ، وعليه الآن العمل ، وهي شركة أبدان فاسدة ، إذ يتفق فيها كثيراً أن يأتي رجل واحد لكتب العقد

(١) محمد بن عمر بن الحسن الرازى ، غر الدين ، ولد بالرى من أعمال فارس ٥٤٣ هـ وتوفي بهراة ٦٠٦ هـ .

(٢) تفسير الرازى ج ٤ ص ١٢١ .

(٣) العبادات (ب) .

(٤) مالك بن أنس ولد ٩٦ هـ وتوفي ١٧٩ هـ .

(٥) من أول الباب الثانى إلى قوله « الشركة » ساقط من (ب) .

(٦) يسمع (ب) .

فيكتبه الشاهد الواحد ، ولا يفعل الآخر فيه إلا الشهادة خاصة ، أو يكتبان معاً ، ويكون أحدهما طبعه الاختصار ، والآخر الإطالة ، فلا يحصل التساوي في العمل ، أو يأتي عقد بديهي فيحتاج الأعراف منهما أن يكتبه دون الآخر ، أو يكون أحدهما أفقه لكن ركبك الخط ، فيتعين صاحب الخط الحسن إلى المكتب ، ويقتصر الآخر على وضع الشهادة خاصة ، وهذه شركة فاسدة ، قد حكم بفسادها حسبما ذكر صاحب المناهج وغيره ، وإن لقوله باعتبار الحيل الفقهاء سبباً من نسج العناكب حضره الورع الذي ادعى ، وفقدانه في دكان الوثيقة جر إلى هذا التقييد .

الباب الثالث : في محلها من الورع إن سلمها الفقه . قلت : ولما كان الورع أمراً زائداً على الفقه وهو ترك ما لا بأس به ، حذار ما به البأس ، لما ورد في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث الذي ادعى فيه التواتر ، وقيل فيه ثلث الإسلام : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات أو مشبهات » كان تأتبه بعيداً ، وكيف يتأتى للفاعل ^(١) بدكان الوثيقة تمام الورع ، وهو يقبل التعريف بالمشهود عليه ممن اتفق ، والحق فيه أن يكون عدلاً بالنظر إلى باب الشهادة والخبر ، وهذا ينذر ^(٢) ويضيق عليه مع طلبه الزمان ولا يقتضيه التمعش ، ومنه الشهادة على صفة المرأة غير المتأجلة ومما كلامها ، وكثيراً ما جر ذلك على رجال فضلاء الفتنة في غير ما خبر وحكاية ، ولعله لا يملك زمام نفسه وهوى قلبه ، ومنه الشهادة على الخط ، وفيه من الخلاف ما يضيق عنه مسلك ^(٣) الورع ، ومنه أن يتوقع إغفال بيان قضايا عند الشهادة ، وفي ذلك جرى ^(٤) إضاعة الحقوق ما يتهرج منه صاحب الورع ، ومنه أن يعول في الشهادة على مجرد خطه ، وقد أدى الناس الشهادة على غير خطوطهم ، والمشهور من المذهب أنه إن لم يذكر القضية فإنه لا يؤديها ، وفي اقتحامه هذا اللج الخطير أوطح المكتوب أيضاً في وجه المسكين الذي طلب الأداء ومباشرة فجعته مع الشك في كونه محققاً ما فيه ، وإلى ما تسوَح اليوم فيه من الشروط الواقعة في عقود الأنكحة ،

(٢) يقدر (ب) .

(٤) جر (ب) .

(١) للقاعد (ب) .

(٣) سلك (ب) .

وكثرة جريانها ، وعدم التفرقة فيما ينبغي أن تفرق فيه الشهادة الواقعة فيه بالزمان ، كالشهادة على الولي في وقت ، وعلى الزوجة في غيره ، وإلى أخذ الإجارة من أدال الناس وأوساخهم ، وذوى المهن الغثة من الحجامين والكنافين وأرباب المسكاسب الحبيثة ، وأصحاب العاهات والزمانات ، والأمراض المتعدية التي أمر الشرع باجتناهم ، وتسليم الصدقة إليهم على قيد الرمح ، ومن المنقول : « لا تدخل ولدك جزاراً ولا حناطاً ولا بائع كفن » ، قيل في الجزار لا يلزم القساوة ، وفي الحناط أو بائع الحنوط أو الكفن لما يلزم ذلك من حب غلاء الأسعار على توال ، أو حب كثرة الموت الواقع في الناس ، فالوثيقة مشتركة الإلزام في سبب النهي ، ومن يدعى أن النفس من الموثق تعزى عن الاكتراث عند اصطلاح الزوجين من معنى الطلاق وهو أبغض الحلال إلى الله ، وموقف الفرقة وبت العصمة وشتات الشمل لما يعانيه من نفور الصدر وفوات الأجرة ، فهو غير درب بعلل النفس ، وإنما تعزى عن هذا وشبهه نفوس أهل المجاهدة وأرباب الهمم ، وأمثال هذه / القضية من التدمية التي يستأجر الموثق إلى الوقوف لمشاهدة قتلها ، فترفع إجارة وقوفه إليه عند إفاقته وغير ذلك ، ولو تتبعنا الجزئيات التي تنافي الورع في دكان الموثق ، كالقعود منتصباً بياض اليوم بقارعة طريق تقع عينه على المنكر والعورات التي يحرم النظر إليها ، ويسمع الفحش والسباب لطال الكتاب ، وفي البعض دلالة على الكل ، وفي الإشارة ما يغنى عن العبارة ، والله الموفق لما فيه رضاء ، ولقد حدثني من أئمة أن بعض أشياخه من أهل هذه الصنعة وسمّاء ، قال دعوت يوماً رجلاً صالحاً إلى منزلي ، وهو لا يعرفني توهمت فيه الخير عند مروره ببلدنا ، فرأيت رجلاً كبيراً من أهل العلم والعمل ، فلما عرضت عليه الطعام لأك منه لقمة وطرحها من فيه ، فتلظفت في استقهامه ، فقال : عودني الله مهما أكلت حراماً أن يصيبني الوجع ، وهذا الطعام تنقّد نفسك فيه ، فإنه من الحرام ، فقلت : هو من معيشتي وأنا شاهد من المدول ، فاستبصر حينئذ في الاجتناب ، وقال : هذا هو الحرام الذي لا شبهة للحلال فيه ، قال : ولقد كاشفني عما يدل على جلالة قدره .

الباب الرابع : فى منزلتها من الصنائع والمهن . قال المؤلف : ويكون الموثق قد تحصل تحت القدر المشترك مع أرباب الدكاكين ، وذوى المهن المستخدمين فى الأعمال المستأجرين لغير معين من الكفاة ، ذا يد سفى لالتماس الأجر ومكاس يتحصن به من الغبن ، وميزان مضاجع لأقلامه يحجر به رجحان الفلوس ، وميزان يستكشف به عوار الزائف من البحث ، وراجع إلى عريف ببالغ عمله ، وهو قاضى أدائه ، فيوجب له من أعمال كده أو أدبه ولوفى سبيل إرشاده بحسب إجادته أو تقصيره ، فما الفرق بينه وبين سائر ألف من الأساكفة^(١) والخرازين^(٢) والحاكة^(٣) ، وأرباب أسواق المضغ من الحجازين والسفاجين . وكثير من أرباب المهن لانحطاطه فى دركات الحسة ، وعرض عمله على المصيطر^(٤) ، وربما يفضل من ذكر من الباعة بأمور منها تنهى سقوط الحشمة ، ورفع كثرة الرياء ، وخفة العقاب عند مواجهة الجناية ، فعقاب جنايته فى الآخرة أشد من عقاب سارق المضغة ، ومطنف السكيل ، وفى الدنيا كلما عثر عليه القاضى أسقطه وختم دكانه إلى التجريد والطواف والتمثيل وقطعه المعيشة مدة القاضى المتولى لذلك ، وإذا عجز استصحب الحمال من بعده ، ولقد اكرتت بحال أحدهم كلما مررت به حال ظفمه باكتتاب صداق ، حاسر الذراع يعالج نفص الجير عن عن رقه ، فتارة ينشره ويلحه بلسانه ، ويجهد أن يشمل سطحه بلعابه فيعلق الكلس يبلل لحيته وشفتيه ، ويطير الغبار إلى عينيه ، وتارة يدرجه إلى أن يصير يراعة جوفاء ، وينفخ فيها كالنافخ بالآلات النفيسة ، وتارة يسوط بها جنب متوكئه وغلق حانوته ، فكيف لا يعد من يبرز فى هذا الطور حتى يتسبب فى إذابة أهل الذمة ومجتى المجذومين من أرباب المهن والمحترفين بأخس الحرف ، وأنى بالحشمة لرجل ينصرم عمرأ مسترددا إلى الدكان على رجله ، مشترياً أدنى

(١) الإسكاف عند العرب كل صانع ، سوى الخفاف ، فإنه الأسكف ، تاج العروس

١٤٣/ ٦ .

(٢) الخرازون : مفردة خراز ، من خرز الخف وغيره أى خاطه ، وأصل الخرز

خياطة الأدم . تاج العروس ٣٢/ ٤ .

(٣) الحاكة ، مفردة حائك ، من حاك الثوب إذا نسجه ، تاج العروس ١٢٤/ ٧ .

(٤) المسكين (ب) .

المشتريات بنفسه ، مزاحماً على الأدم أندال بلده ، مستصحباً شكيراً دنسة من الجلد قد صيرها شراءاً للؤتدمات ومبائنة الودك ، وعرق الكف كمدالك^(١) الحجامين فيها مفتاح خشبي يباشر به فتح المغلق كل يوم مع الشاقة ، بحيث يقع كثيراً على ضلفته فيدميه ، من غير عبد يكفيه ، ولا خديم يرفهه ، ثم إنه ربما طرقة حاجة الإنسان على بعد منزله ، أو اعتراه ذرب أو إسها ، فلا بد له من تعجيل الخطى^(٢) أمام ما يحفره ، فإما أن يجد ميصأة يقتحم فيها البيت على غيره ، سالحاً على هامته أو يلحق منزله بجريرة الذقن ، أو يسيل سلاحه على عرقويه ، فكيف لا يأنف أو لو الحشمة من التعرض لهذا الهضم ، وكان عندنا عدل من شيوخ بني الورد المعروف في البيت ، يقعد بدكانه يجتر بلوطاً جافاً على الدوام حرصاً على / انعقاد فضلاته من البول والغائط توقفاً لما ذكره . ولقد خطب الفقيه العاقد بالمرية المعداد من مفاخرها الثلاثة المعروف بابن الصائغ^(٣) وهو شيخ العدول ومن أهل المالية ، إحدى بنات ابن دنون من أعيانها ، فقالت : لا أرضاء حتى يتوب من التوثيق ، فإن الموثق ليس من أهل الحشمة ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : كل من يلازم أي دكان كان لأي شيء كان فهو سوقى ، لا سيما إذا كان يعمل عملاً بدرهم ، فاشترط لها أن يحتبس^(٤) متى أحب لمباشرة أموره وحساب وكلائه من غير اتحال شهادة ولا كتب ، فكان ذلك إلى آخر عمره ، وهذا معروف حيث ذكر .

الباب الخامس : في أحوال منتحليها من حيث العلم غالباً ، قلت : ولا يخلو حالهم من أحد أمرين ، إما أن ينتحل الوثيقة بعد تحصيل الفنون العلمية واستكمال السن ، ومن حيث كانت مهنة وعملها شق الاضطلاع بها مع الكبرة وتشاغل الولد والمنزل ، والمنظر إلى إصلاح العباد والمعاد مع التدقيق ، إذ موادها لا تحصل

(١) مدالك ، جمع مدلك وهو هنا قطعة من الجلد طويلة ملساء يصقل عليها الحجام المومى .

(٢) الخطو (ب) .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي ، المشهور بالصائغ الخطيب ، شيخ القراء ومسنم ، ولد سنة ٦٣٦ هـ وكان شاهداً عاقداً ، توفي سنة ٧٢٥ هـ .

(٤) يجلس (ب) .

إلا بالمران من حفظ النصوص ، وكثرة المزاولة والخبرة ، والبون بين تعليم
الكبر والصغر مما ضربت به الأمثال ، حتى في رقص القردة ، وقال الشاعر :

أدب بنيك صفاراً قبل كبرتهم فليس ينفع عند الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الحشب

فكثيراً ما يكون جبان القلم غير مطواع العبارة ، ولا مستحضر ما تحتاج
إليه الوثيقة من الفقه ، وإن كان عالماً به على الإجمال ، ورحمة الله على القائل :
« ما ناظرت صاحب علم إلا غلبته ^(١) » ، ولا صاحب جهل إلا غلبني » ولا يبعد
أن يرسمها بغير المعهود ، وبخلاف المألوف لقلة المران ، ويبر عليه الحديث ويغير
في وجهه السكيت ، ولقد وقت بمدينة سلا على عقيد بائبات عيب في دابة بخط
من يدعى المعارف من شيوخ موقفيهم ، ويتسور درجة التعليم ، كانت والله أستاذه
اثني عشر ، ومواضع ^(٢) الغلط لقلة المران فيه سبعة ، خمسة من جهة اللسان / واثان 6 ب
من جهة الفقه ، يختص من الغلط بكل سطر غلط واحد وخسة أسباع غلط
على مقدر الفريضة في غلط الموقفين ، وإما أن يكون مباشرته إياها من لدن
الجدانة وزمن الصغر ، فيطرح بالدكان غير مستعمل في شيء من مبادئ العلوم
إذ المسكان مكان عمل مكلفاً باستنساخ مثنائي العقود ونظائر الأصول مستخدماً
في مبادئ النسخ واقتضاء الشهادات إلى أن يترعرع فيتاح له الشهادة على الرسم
للكور من اقتحام المذكور حمى الورع ، فيقع في مزود محصور بتأبوت
الحشب ، وفيصل البناء كي لا يزاحه جليس ، ولا يباشر تصديقه زميل ، يقعد
القرفصاء ، مطوى الركبة ، مضايق الجلسة ، معقود الطرف بالسماط ، مصفى
الأذن إلى المشاجرة ، قد ابتاع من دنى السكاغدرجاً فصله عوارض ومخروطات
استكثاره بالقصاصة ، وقد فاته زمن التعليم فلم يستفد فيه شيئاً من الإعراب ،
ولا لفظاً من اللغة ، ولا حكماً من الشريعة ولا بينة من التعاليم ، ولا فقرة من
الأدب ، فإذا ابضت سبلته ، وعلت سنه ، وأمله العوام لتوازل دينهم كان مثار
فضيحة ، وجالب مضحكة ، فلقد كتب أحد الشيوخ من هذا شأنه في عقد يتضمن
افتتاح باب ما نصه : على أن يفتحان كذا ، وأن يغلقان كذا ، ورده عليه أحد

(٢) ومواقع (ب) .

(١) غلبني (ب)

أصحابنا فأعاده إليه وقال لحامله : قل للفقير قال سيويه^(١) : ثبت النون في باب
يفتحان ويفلقان ، ولقد استفتت عجوز من معارفنا كبيراً منهم وقد حلفت بصوم
العام تصومه وتقومه على باب جهنم ، وكثيراً ما تقول النساء هذا ، وتخرجت
المسكينة لديها ، فأمرها أن تصوم وتفطر كل ليلة يباب الفرن ، إذ لم يوجد
في هذا العالم على ما ظهر لي أقرب منه إلى جهنم لما عدم الأدلة الشرعية ، ولجأ
إلى القياس من الفرن ، فكانت تحمل كل ليلة لقمة وكوزاً من الماء إلى باب
الفرن ، فعند سماع الأذان تلوكها مدة من عام ، وما زلنا نستعذب هذا العمل
وتفككه به ، ومن المعروف / الآن بمدينة فاس عن مسن منهم قوله لمن استشاره
في أمر : الله الله يا ولدي في السعد مالك أرشد منه ، يظن أنه عما يحاول من
الأعمال ، إذ سمع ذكر السعد وغناه^(٢) ولم يدر معناه لغباوته . كان بعضهم
من صحبائه يقول في أثناء حديثه : إن كان كذا وكذا فنعم وبئس ، وإن كان كذا
نفعل كذا ، فيظن نعم وبئس مثل بها ونعمت ، ونستدرجه إليها في سبيل الفكاهة ،
فنقضى من الضحك والاستغراب ما شاء الله من غير شعور لديه ، ولقد كتب
بعضهم بسلاحها وقضنا عليه في الحكاية عن امرأة طائفة بذلك غير متبرعة ،
والحكايات من مثل هذا لا تحصى ولا تضبط إلى ما لا يزال يسمع في ألفاظهم
ومحاوراتهم من الألفاظ العامة كقولهم قليل النحسين في قليل التحصيل ، وفاضل
الذات في فاضل الذات^(٣) ، وسرير الأيام في سائر الأيام وما أعطى السكال
إلا لله ، وأمثال هذه ، وينشأ المتدرب المذكور مع هذا لفقده الترف والحصب
زمان التربية ، ومراته على اقتضاء الثمن من الحقير ، وعدم تهذيبه بالرياضة على
شيخ عظيم من رذالة البخل ، ولقد حدثني شيخنا الفقيه الصالح المحدث كاتب
الدولة النصرية ابن الجياب^(٤) رحمه الله ، قال : كنت أقعد بديكان العدل أبي

(١) عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، أبو الحسن ، ولد بالبيضاء قرب شيراز ، ثم
وفد على بغداد ، توفي بوطنه ١٧٧ هـ وقبل ١٩٤ هـ .

(٢) وعناه (ب) .

(٣) فاضل الذات (ساقطة من ب) .

(٤) علي بن محمد بن ساجان الفرناطي أبو الحسن ابن الجياب ، ولد ٦٧٣ هـ وتوفي

عبد الله بن سعيد العنسى من ذرية عمار بن ياسر ، ومن ولى القضاء بالحضرة ، ويصل إليه العقد من أحد العدول مصحبا بقلم قدمه الشاهد فى الخبر فيوقع الشهادة ولا تفى مادة الخبر بتمامها فيعاد القلم ليصنع فى ليقة كاتب العقد ضنائة وبخلاء ، ولقد رأيت رجلا من أغنيائهم بسلا يكثر دخول الحمام من غير جعل ، ويقعد بأزاء قدر الماء الحار وقد ضم حواليه أكوابا يدسها بين أكواب الناس ، ويحتذبهم إملأها فى تضاعيف عملهم ، ولا يزال يسكبها عابثا ، ثم ينصرف وقد رزأ ما يستحق الثمن الكثير عن حمل من قومة الحمام ، ودعاء بالسوء والخيبة . ولقد قعدت مع أقوام منهم قلما يمر حامل باكورة بقل / أو فاكهة إلا ويستدعيه 7 ب ويستدنيه لينظرها ويتناول بعضها فيحصل على كفاء شهوته ذواقا ، وكثيراً ما أمرهم وشيوخهم بحضرة الملك يقبلون أسراب دجاج قد (أوحى هكذا المحروب) الجبل على أرجل الجملة منها شداً وبقيت أجنحتها مرسله : فإذا تناول أحدهم الدجاجة ليختبرها تفخاً فى دبرها وتحت ضنبها (١) ، ورازها (٢) يده ، وسبر (٣) بوسطى أصابعه رحمها عن البيضة كما تفعل القوابل صاح ما دونها من الدجاج المرتبطة بكل حانوت ، وضرب الأرض بأجنحته ، فيتكدر جو السماء غباراً ، وتصطك المسمع صياحاً ، وتمتلئ سبالهم (٤) شعناً وزيراً (٥) ، وهم مكبون يفلون الرياش عن العروق ، فيعظم عجبى لذلك ، وقد أقدرهم الله المشاحة لبائعى الأدم والمضع وغيرها من الماعون على ما لم يقدر عليه غيرهم ، فهم يمتازون من الناس فى تلك المزدحمات ، فإن كان الذى يشتري فاكهة لقط أفاضلها بيده ، أو عين عيونها بسبابته ، أو لحماً تخير قرقه (٦) ، وارتاد ملذة من الأعضاء المتفرقة ، واسترجع واستبدل العظم والمعا علاوة على الحمل ، ولقد رأيت علماء من أعلامهم ذوى الشاحة والسن والمسال العريض يضائق ضعفة جيرانه من كتاب الرسائل العامة تحت الظلال فى كتب

(١) الضين : ما بين الإبط والكشح .

(٢) راز ، روزا : جرب .

(٣) سبر ، سبراً ، خبره وقلس غوره .

(٤) السبال : الشوارب . (٥) الشمت : الاغبرار .

(٦) قرق ، مكان مستو لاججارة فيه ، ، وهنا اللحم لا عظم فيه .

البراءات ، والرسائل الحاملة ، والمراجعات والمرافعات والنزوم ، على خول الأجرة وخسة النرض ، وركاكة الخط ، إذ الغالب على خطوطهم الركاكة امدم استجداتها ، والمران على إصلاحها وتحسينها ، والاشتغال بأخذ الدرهم ، ولقد شهد بعض شيوخهم بمالقة على امرأة من البادية ببعض الثرى فقهرت الإجارة عن غاية رضاه لخلو يدها عما يحرم طعمه ، وكان بيبتها أحمل تين ، فرفع فرداً من التين وخرج به ، وأعيابه ، فأذّر على حمار كان مرتبطاً بأزاء البيوت ، وانصرف بالجميع . وأما منافرة الجار المشارك في الحرنة ، وإحصاء مساويه ، والولوع باغتيابه نكأته خصلة لازمة ، ولقد جرى حديث بعضهم ، فقال أحد الشيوخ الموثقين اليوم بسلا : لا يسمع حديث نلان في نلان فإنه عدوه ، فقيل : ومن أين وقعت هذه العداوة ، فقال : يا سبحان الله أليس حانوته قبالة حانوته . جاداً من غير مزاح / يحسب والله الجوار من ملزومات^(١) العداوة والأمر الشرطية ، هذا بعض شأن أرباب هذه الحرفة التي يعرفها الجمهور ، وتخرج منكروه المشاهدة والحس ، وإن ندر^(٢) خلافه فإنما الحكم للغالب .

الباب السادس : في أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه ، قات : ولا يخلو حال الموثق من أحد وجهين ، إما أن يكون من أهل الشؤم ، والحرقة والرغبة عنه ، وكثيراً ما يجري ذلك فضله ، ففى اشتهر بالتوقف والتحقق والتحرى نسب ذلك عنه إلى المران والوسواس ، وعدم المساهلة وسوء الحاق ، وكثر بسببه فساد المعاملات ، لا سيما إن كان مع ذلك يطول منه زمان الفمل لتفقد الوثيقة وإحكام أصولها ، فينطاط به التقصير ، وإن وائق هوى أحد الحاصدين لم يوائق هوى الآخر فأقطع جانب المجبران ، فتلقاه ظاهر السكابة مغموماً أسوء الخط ، مسخطاً على الأيام ، ظاهر التشف ، مرقوع الذوب ، قرماً إلى الأدام ، غفل الزمان عن المواسم ، لا يفرج هم بالنظر والمطالعة والدراسة ، خوفاً أن يكون ذلك زائداً في حرمانه وذريعة إلى تنقصه ، إذ من قوائدهم أن العاصي يظن فيمن استظهر منهم بكتاب أنه من ذوى البداية ودرسة المصاحف ، ومن لم يفرغ من العلم وحفظه ، فينتقص لذلك ويقصد غيره ممن يظن به خلاف هذا ، ولا تتأنى

(١) ملازمات (ب).

(٢) يرز (ب) .

المطالعة مع هذا أو إعمال النظر إلا بعد إمعان الفكر واجتماعه ، وشأن الموقن
شأن صانع الطير من جولان فكره ، وتقلب حدقته ، وصرف نظره كله إلى
حبالته ، ولا يشغل أيضاً وقت فراغه بذكر الله للنشويش الذي يلزم من مباشرة
السلك والضرجر من الاستشهاد في وثيقة الجار ، ويقعد منتصباً يياض يومه جليس
المهيدورة تقع عينه على المنكر والعورات ، وتجول بإذنه الكلمة الموراء
النافحة يتصارفها الأندال والصبية والشباب ، يتخاطب به السنلة ، وتمقل النعم
المارة به في الأسواق ، فلا عيشة هنية ، ولا حال ورع مرضية ، وإما أن يكون
من أهل البخت والاستعمال والنفاق وكثرة العاشي والمنتاب ، وكثيراً ما تجرّه
المساهلة والتزل والبشاشة والدخول في فضول القول والعمل ، واستئزال
الاهواء ، ومجاراة الخطاب والمهاسرة حتى تنيسر العقدة ، وتنسى البغية ،
ويجر ذلك كديده وسخرة قدمه ، سيما إن كان مجلس قاضيه نائباً عن محل قعوده ،
ومن دون عتبة كؤود كالحال بمدينة سلا ، إلى جهد فكره وحسد جاره وخطأ
قوله ، وضعف حظ الله من حصّة زمانه ، وعلى الحالتين من نفاقه وكساده ، فقد
دهاه ورعه ، وخبث نيته ، وسقطت حشمته ، إنما هو عبد مسخر / وأجير 8 ب
مكدود ، وإذا اكتسب الماله امتنع من الانتفاع به وتحصيل غايته ، والالتذاذ
بشمرته ، فأظهر ثمرات الجدة المأكل النهى والملبس البهى ، والمركب الفاره ،
فأما المأكل فلما كان يرى نفسه متعيشاً من كد جوارحه ، ويتوقع الإنشاء
والتعمير إلى زمن الهرم وأرذل العمر ، واختلال الجوارح ، صار جماعة مقتصداً
متصفاً بالتقير غالباً ، وأما الملبس فإنه يرى أن الأبهة وحسن الزى والرياش ينفي
كثيراً من رزقه لتهيب الضعفاء إياه ، وتحيلهم أن إجارتهم من نسبة هيأته
فلا يقدمون على احترامه ومعاملته يسيرهم ، ويجدون المندوحة عنه فيمن يرضى
باليسير فما يستقل من أجله ، وأما المركب فيجوز هذا المعنى وزيادة ، وهو
إضراره بالناس مرتبطاً بإزائه أو واقفاً تجاه دكانه مستدبراً جاره ، رانيا
وجهه إلى ما يلزمه لذلك من مسائرة رفيقه راجلاً عند الدعوة والأداء ، وذلك
نما يسخطه ويقتضى عدم مطاوعته ، وهذا الفصل يحتمل من الكلام أكثر من
هذا ، لكن القصد الاختصار .

الباب السابع : فى الجواب عن فصول يحتج بها من يناضل عن هذه الطريقة ، ونحن نجيب عن مسائل فى هذا الباب نعلم أنهم يحتجون بها حتى لاندع فيما ذهبنا إليه إشكالا ، فيكون الموفق يتدارك أمره ، والمصر يعرف قدره ، فصل : إن قيل : كيف تدم الطريقة ومحلها من الشرع محلها ، وبها تثبت الحقوق ويتوثق لها ، ولذلك سمي معانيها وثاقا ، وقد وقعت الإشارة إلى كثير من مقدماتها ولواحقها فى كتاب الله ، قلت : نسلم فضل الطريقة ومشروعية الاكتتاب والشهادة ، ولو بقيت بحالها لوجبت الرغبة فيها ، والثناء عليها وعلى منتحلها ، إلا أنها استحالته إلى فساد ، وخلعت صورتها الشرعية لآبسة صورة المنكر ، فزلتها منزلة الأغذية الطاهرة التى استحالت إلى الزناد ، وكالماء المثلج إذا صار يولا ، والطعام الطيب إذا عاد غذرة ، والعصير إذا أصبح مسكراً ، وغيره مما استحال عنه ، فلو حمل بعد الصيرورة عليها وصف الأصل .

سكان ذلك من باب الإخلال بالأوصاف والموصوفات فهى شريفة بالنظر إلى غايتها ومادتها ، خسيصة بالنظر إلى فاعلها وسوء استعمالها الذى صار منها بمنزلة الصورة من المادة .

فصل فإن قيل فساد دعواها غير مسلمة ، قلت : الشاهد فى وقتنا ووطننا الحس والمشاهدة ، وفى غير وقتنا وبلدنا الخبر المتواتر والنقل الصحيح ، فمن كتب / نقلنا عن صاحب المناهج وغيره إنكار اتخاذ الحوانيت بكل مكان لبيع الشهادة : 9

وليس يصح فى الأفهام شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

فصل : فإن قيل لا ينبغي أن يحمل الفساد على كل من انتحل الطريقة ، وفيها التقى البر والكثير التجبر ، قلت : نسلم ذلك إلا أنه إذا كان بهذه الصفة اليوم يستلزم من المهجران والحرفة ، وقلة الاستعمال ما يصير لأجله من قبيل المعدوم ، ووقوع الخير كما قلنا نادر ، والحكم المطلق على الصنائع والحرف أكثر عند التحسين والتقيح ، مع أننا إن سلمنا له العفة والعدالة لا نسلم له الورع لما تقدم من الانتصاب والشركة والاستجارة .

فصل : فإن قيل دليل صحتها ، واتخاذ الدكاكين لها الإجماع ، قلت : إن غنى به إجماع الصحابة فمنوع ، إذ لم ينقل عنهم أن شاهداً اتخذ حانوتا ، وطلب على الشهادة أجراً ، إنما كان الناس يتشاهدون بينهم ، ويتوثقون بخيارهم وفضلائهم لقوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ (١) ، وفي آية الدين واكتتابه دليل على أن المقصود غير متخذ في الدكاكين لبعد ذلك وامتناعه في حق المرأة ، وإن غنى به إجماع من بعدهم وهو الإجماع السكوتي ، وفور الأئمة وقضاء العدل عليه من غير تثريب عارضه إلى ما وقع في هذا الإجماع كثرة التثريب وتعدد تكرار الواقعة من فحول النضاة فيهم على مر الأيام ، فلقد أدركت بزمانى على مدة شيخنا قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن بكر (٢) رحمه الله تعالى إسقاطهم وعزل ما ينيف على سبعين مبرزاً منهم بغرناطة ، وعلى مدة السلطان بالمغرب أمير المسلمين أبى عنان (٣) رحمه الله ، وقد عين بكل بلد من بلاده عدداً قليلاً منع قبول من عداه ، وقيل ما تجافى عنهم القضاء إلا بأساً من صلاح الطريقة رأساً لعموم فسادهما بالأرض ، وإصلاحها من وظائف السياسات ، والعامية على امتناع ذلك ، ولم يقع خلاف بين المصنفين من الأعلام في شيء مما قلناه ، فكيف يدعى الورع والاستقامة في طريقة تكررت فيها توبة فضلاء أهلها بالنسبة إلى سوائهم في كل مكان وزمان ، فقلنا الآن أن تجد ذلك إلا وجدته كذلك ، والفهارس محشوة بذلك في سبيل الثناء على من وقع منه ذلك ، فلم يستجيزوا لقاء الله عليها ، أترأى نفروا عن هذه الطريقة نفرتهم 9 ب عن المعصية من غير شيء رابهم فيها لاها لله .

قال بعض شيوخهم بسلاً ، لمن ينعى إلى ذلك : أزمعت على التوبة منها والخروج عنها ، وأنا أستخير الله تعالى مرات عديدة في كل ليلة ، فقلت للبلغ عندي دليل على ذلك ، فاستبشر وقال : ما هو ؟ قلت : كونه سراً أجرتها فيما فرط بحساب درهم للعقد ، ثم إنه اليوم مع الاقتراب من طية الأجل ، ومظنة

(١) سورة البقرة . ٢٨٢

(٢) محمد بن أحمد بن بكر بن على القرشى ، يكنى أبا عبد الله قاضى الجماعة ، توفى سنة

٨٧٥٩ .

(٣) فارس بن على المريني ، أبو عنان ، ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفى مخزوقاً سنة ٧٥٩ هـ .

الخوف من لقاء الله نقل السمر إلى أضعافه ، وتعرفت أنه طلب لرجل ضعيف من البادية ديناراً ذهباً على الأداء في شهادة ، فهذا دليل الزهد والإزماع ، كما قال الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وكان الأمر كما ذكر ، فاعترف ولم يجد جواباً ، لطف الله بنا وبهم ، وعاملنا بفضلهم .

فصل : فإن قيل : إنما الأجرة هبة ثواب ، قلت : هذا باطل ، ويلزم الواهب أن يرجع بالغبن فيها ، وإن تتبعه أحكام هبة الثواب ، والحق أن قوله تعالى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ ^(٢) يقتضى عدم أخذ الإجارة ، قاله الشيخ أبو الحسن رحمه الله ، قال ابن السيمسرى : شهادتهم ساقطة لأنهم لم يقيموها لله بل الشاهد ساع لنفسه ، وهم فتنم لفلسه ، هذا نصه .

فصل : فإن قيل : إنما أخذ الأجرة على الكتب دون الشهادة ، قلت : قال صاحب المناهج : هذا باطل لأنه لو لم يشهد لصاحب الوثيقة لم يأتها لكتبها ، ولا أعطاه أجراً ، ثم لو كان الأمر كما ذكر لا ينبغى ^(٣) له أولاً أن يتفق معه على أجر معلوم ، إذ ما يعطى الناس على ذلك تختلف أحواله ومقاديره بحسب همه المعطى ويساره وفقره .

فصل : فإن قيل : اتخذ الدكاكين والانتصاب في الأسواق فيه تقريب على الضعفاء ، وتيسير على المحتاجين لإيقاع الشهادة . قلت : هذا مما انعكس فيه القصد مع ما تقدم في أصل اتخاذه ، إذ صار مصيدة لهم ، ومعصرة لفلوسهم ، والأخذ بمخائقتهم ، ومقعداً لأولى البطالة والمشرفين على أسرارهم وحرمااتهم :

ما قام خيرك يا زمان بشره أرى ألف بانٍ لا تقوم بهادم

(١) الآية ١٣٥ سورة النساء .

(٢) الآية ٢ سورة الطلاق .

(٣) ينبغى (ب) .

فصل : فإن قيل ترك الأجرة وقبول العوض في هذا الأمر يدعو إلى تعطيله ، فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة وغناها ، قلت : الإنصاف فيها اليوم أن لو كان متوليا يرزق من بيت المال ، وأموال المصالح والأوقاف التي / تسع 10 ذلك ، وحال الجماهير في فقدانها ، والاضطرار إليها ، ورفع أمورهم بها إلى السلطان ، ورغبتهم في نصب من يتولى ذلك حالهم في فقدان أئمة الصلاة في المساجد الراتبية في جريانه من بيت المال بعهلة التزامهم وارتباطهم فقط حسبها نقل الإجماع فيه (١) القاضي أبو بكر بن العربي (٢) رحمه الله ، والارتزاق من غيره إجماعا ، وقد كان بالمدن المعتمدة من بلاد الأندلس جبرها الله تعالى أناس من أهل التعفف والتبني كبنى الجند بأشبيلية ، وبنى قليل وغيرهم ، بغيرها يتميشون من فضول أملاكهم ووجائب رباعهم ، ويقعدون بدورهم عاكفين على بر منتابين لرواية وفتيا ، يقصدهم الناس في الشهادة فيجاملونهم ويباركون على صفقاتهم ، ويهدونهم إلى سبيل الحق فيها من غير أجر ، ولا كلفة ، إلا الحفظ على الناصب ، وما يجريه السلطان من الحرمة والتنفد في الضرورة ، وما يهديهم الناس من الإطراء والتجلة ، ومن الله سبحانه الأجر والمنوبة ، وبلغني اليوم أن حالها بمدينة سبلماسة ينظر إلى هذا الحال من طرف خفي ، ولم تفسد بها كل الفساد ، وكذلك لم نزل نتعرف أن الأمر في شأنها بمدينة تونس أقرب ، وبعض الشر أهون من بعض ، ولو بقيت بحالها لوجب تقرير فضلها ، وتقرير مرض منتحلها ، فالصدق أنجي ، والحق عند الله أحجى ، والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه ، ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقضيه ويجعلنا ممن ختم له بالحسن ، ويقربنا إلى ما هو أقرب من رحمته وأدنى ، وصلوات الله وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه والأبناء .

نجز الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه ، والحمد لله رب العالمين ، قال جامعه ومؤلفه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الخطيب عفا الله تعالى عنه بمكة .

(١) أحكام القرآن لابن عربي ، تحقيق على البجاوي ج ١ / ٢٤٨ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد المافري الأندلسي ابن عربي أبو بكر ، ولد بأشبيلية سنة ٤٦٨ هـ وتوفي بالدوة ودفن بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

لبسنا فلم نبل الزمان وأبلانا
ونفتر بالآمال والعمر ينقضى
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسى
جزينا صنيع الله شر جزائه
قيارب عاملنا بما أنت أهله

يتابع أخرانا على الغى أولانا
فما كان بالرجعى إلى الله أولانا
فما انقباد للزجر الحثيث ولا لانا
فلم نزع ما من سابق الفضل أولانا
من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

نقد الكتب

كتاب الذخائر والتحف

للقاضى الرشيد بن الزبير

تحقيق الدكتور محمد حميد الله

نقد وتعليق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

هذا الكتاب هو واحد من الكتب الجليلة التى أصدرتها (دائرة المطبوعات والنشر) بالكويت فى مجموعة « التراث العربى » التى تهدف من وراء نشر فرائدها (إلى توضيح ملامح حضارتنا والكشف عما غمض من تاريخنا) .

وقد بدأت الدائرة عملها بإصدار هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه عن نسخة فريدة يتيمة فى العالم كله الدكتور محمد حميد الله . وقدم له وراجعته الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهو ليس جديداً فى باب تحقيق التراث العربى ومراجعته ، فله مشاركات كثيرة جيدة فى هذا الباب ، وله فوق ذلك كتاب جيد فى (قواعد تحقيق النصوص) كان فى الأصل فصللة من مجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية .

والنسخة اليتيمة فى العالم كله من هذا المخطوط توجد فى مكتبة بلدة (أفيون قره حصار) التركية ، ويبدو — كما استظهر الدكتور محمد حميد الله محقق الكتاب — أن الكتاب الأصيل للقاضى الرشيد بن الزبير ، وأن النسخة الخطية هى منتخبات من الكتاب الأصيل قام بانتخابها (الشيخ شهاب الدين أحمد عبد الله بن

حسن الأوحدي المقرئ الشافعي) . والمقرئ هنا اسم فاعل من الإقراء ،
والقراءة ، بحزة على الياء للتطرفة ، وليست (المقرئ) بياء النسب ، كما جاء وهما
في المقدمة التي كتبها الدكتور سامي الدهان لكتاب (التحف والهدايا)
للخالديين ، الذي قام بتحقيقه ونشره وإصداره عن دار المعارف بمصر ، قبل أن
يصدر كتاب (الذخائر والتحف) الذي نحن بصدد الحديث عنه .

وبهذه المناسبة نرى لزماً علينا أن نصحيح وهماً آخر قام به الدكتور سامي
الدهان في مقدمته لكتاب (التحف والهدايا) فقد ذكر في صفحة ١٨ من
المقدمة أن « شهاب الدين أحمد المقرئ الشافعي » هو من رجال القرن الخامس .
ولا ندرى ما الذي ساق الدكتور سامي الدهان إلى هذا الوهم ونحن نعلم جميعاً أن
شهاب الدين أحمد المقرئ — المشهور بالأوحدي — هو من رجال القرن التاسع
المجري ، وأنه اشتهر بالأدب والتاريخ ؛ ويذكر السخاوي في « الضوء اللامع »
أن الأوحدي هذا كان لهجاً بالتاريخ ، وأنه كتب كتاباً كبيراً في خطط القاهرة
ومصر ، أخذه المقرئ المؤرخ ونسبه لنفسه مع زيادات عليه .

وأغلب الظن أن الدكتور سامي الدهان خلط بين العصر الذي عاش فيه
الأوحدي صاحب منتخب (الذخائر والتحف) ، وبين العصر الذي قد يكون
عاش فيه القاضي الرشيد بن الزبير صاحب (الذخائر والتحف) والمؤلف الأصلي
للكتاب . على أن الدكتور محمد حميد الله قد استظاير باجتهاده وملاحظه القوية
أن القاضي الرشيد بن الزبير هو من رجال القرن الخامس المجري بدلالات
كثيرة منها أنه يقول في كتابا : (أخبرني خطير الملك . . . عند وروده إلى
تنيس من الشام في ذي القعدة سنة ٤٦٢ هـ . . .) . ومنها أنه يقول في موضع
آخر من الكتاب : (وحدثني أبو الفضل إبراهيم بن علي السكفرطابي بدمياط
عند قدومه من قسطنطينية في شهر سنة ٤٦٣ هـ . . .)

واستظهارات الدكتور محمد حميد الله فيما يتصل بالعصر الذي عاش فيه مؤلف
(الذخائر والتحف) جيدة صحيحة . إلا أنه حين لجأ إلى استظهار شخصية
القاضي الرشيد بن الزبير قد أسرف في الاستنتاج إسمرافاً لا يحتمله النص ،
ولا الذرائع التي جاء بها لتأييد استظهاره . فإنه حين رأى أن مؤلف الذخائر

يخلع الألقاب الفخمة على السلطان « أبي كاليبجار البويهى » استنتج أن المؤلف كان فى أول الأمر فى خدمة أبى كاليبجار ؛ ثم أمعن فى الاستنتاج — بغير مسوغ ولا قرينة — فذكر أنه لما انهدم بنيان الدولة البويهية ومات أبو كاليبجار، هاجر المؤلف القاضى الرشيد بن الزبير فتوطن مصر ، وتوظف عند الفاطميين ثم أمعن محققنا الناضل فى الاستنتاج فتوهم أسباباً لمقادرة الرشيد بن الزبير مسقط رأسه فى العراق الفارسي ؛ وهى أنه كان شيعياً فلم يرد أو لم يتمكن من البقاء فى الدولة السلجوقية السنية .

والحق أن الدكتور محمد حميد الله على حق حينما ينفلق عليه الاسم الصحيح لصاحب كتاب الذخائر والتحف . ومن هنا مهد لذكر اسم المؤلف بقوله على هذه الصيغة : (ولعل الاسم الذى يمكن أن نسمى به هذا الكتاب هو « المنتخبات من كتاب الذخائر والتحف » للقاضى الرشيد أبى الحسن أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير . . .)

على أن اسم « الرشيد بن الزبير » قد كان يمكن أن يسوقنا إلى (أحمد بن الرشيد ابن الزبير) الأُسوانى الأديب الشاعر المصرى الذى كان مقرباً من الخليفة الحافظ الفاطمى ، وتولى نظار الدواوين فى الإسكندرية ، لولا أنه توفى سنة ٥٦٣ هـ فى القرن السادس . والتواريخ التى جاءت فى سياق أخبار الكتاب عن الهدايا والتحف تدل على أن مؤلفه قد شاهد الحوادث حوالى سنة ٤٦٣ هـ ولا يمكن أن يمتد به العمر إلى سنة ٥٦٣ هـ حتى نسوغ لـ« نفسنا القول إنه هو بعينه أحمد بن الرشيد بن الزبير الأُسوانى الذى ترجم له الأدفوى فى (الطالع السعيد) .

وعلى كل حال فقد يكون الرشيد بن الزبير مؤلف كتاب (الذخائر والتحف) والدأ للقاضى الرشيد بن الزبير ناظر الدواوين فى الإسكندرية . ومن هنا يجوز — من ناحية الزمن والتاريخ — أن يروى أخباراً شهد بها بعينه وقعت حتى سنة ٤٦٣ هـ ولكننا نظل — على كل حال — جاهلين حقيقة هذا الوالد الذى لم يرد له ذكر فيما بين أيدينا من كتب التراجم والرجال .

وعجيب جداً أن يروى الغزولى صاحب كتاب « مطالع البدور » ، ويروى للمقريزى فى خططه عن كتاب « الذخائر والتحف » ، وأن يذكر الغزولى اسم

القاضي الرشيد بن الزبير مقارنة كتابه : « الذخائر والتحف » ، ثم لا ندرى شيئاً عن ابن الزبير هذا ، ولا نعرف من أمره قليلاً يشفي الغليل . كأنما شاء الله أن يحجبه عنا حتى تذهب الغلظون فيه مذهب ، وتتحير في أمره خابطين بين وجوده في العراق أو مصر ، وأن يصدر له كتاب محقق جيد التحقيق فلا يزيدنا علماً بأمره . . .

وقد تكررت بعض الأخبار في كتاب (الذخائر والتحف) بما لا ندرى معه إن كان ذلك من المؤلف أم من الناسخ . على أن التكرار لم يكن مصاحباً لأمانة النقل في النص المكرر . ففي الفقرة العشر من صفحة ١٧ جاءت حكاية الهدية التي بعث بها محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس إلى الخيزران . ثم جاءت في الفقرة التاسعة بعد الثلاثمائة ، صفحة ٢٢٢ وفيها نقص في الشعر وفي الخبر . فالشعر في الرواية الأولى يأتي هكذا :

إن المئين التي بعثت بها صارت شفيها في قطع ما تصل
لا يدفع الأمر من خصصت بها فيك ولا تستطيع ما تسأل
فاعرف لأهل المعروف قدرهم واشكر لأهل البلاء ما فعلوا

ولكنه في الرواية الثانية يأتي منه البيتان الأولان لا غير ويحذف البيت الثالث . على أن المقابلة بين رواية خبر في كتاب ، وبين رواية الخبر في كتاب آخر تكشف لنا عن وجوه الخلاف في الروايات حتى في الأحداث والوقائع والأشخاص . فقد وقعت روايات وأخبار مشتركة في كتاب (الذخائر والتحف) للرشيد بن الزبير ، وكتاب (التحف والهدايا) للخالد بن . ولكن وقع بينهما من الخلاف ما يصح أن يشار إليه . وقد أحسن الدكتور محمد حميد الله حين أشار في بعض الهوامش إلى هذه الخلافات . فقد جاء في الفقرة التاسعة عشرة من « الذخائر والتحف » الحكاية التالية : (وكتب أبو جعفر للنصور بالله إلى معن ابن زائدة حين كان ولاء اليمين في سنة اثنين وأربعين ومائة يستهديه عطراً . فوجه إليه مائة جراب خطراً ، في كل جراب كيس فيه ألف دينار وكتب إليه : « يا أمير المؤمنين : : تقدم بحفظ نخالة هذا الخطر » فلما وصل إلى النصور ، ووقف على ما في الجراب قال :

وكنّا إذا عَزَّ الحَضَابُ بأَرْضنا بعثنا إلى مَعْن فَأَهْدَى لَنَا خِطْرًا
وأَهْدَى دنانيرا وأَهْدَى دراهمًا وأَهْدَى لَنَا بَزًّا ، وَأَهْدَى لَنَا عِطْرًا
وما الناس إلا سِيدان ، فواحد قريش ، وشيبانُ الّتي قَرَعَتْ بَكْرًا

وقد جاءت هذه الحكاية في كتاب « النحف والهدايا » للخالدين هكذا :
(واستهدى بعض الشعراء من صديق له يكنى أبا العباس خِطْرًا . فلم يُسَعِّفه
بما طلب . فكتب إلى معن بن زائدة وهو يتقلد بلاد اليمن يطلب منه ذلك .
فأنفذ إليه جراب خِطْر وفيه ألف دينار ، وكتب إليه أن اختضب بالخطر ،
وانتفع بنخالته ، فقال :

إذا ما أبو العباس ضنَّ بخِطْره كتبنا إلى معن فَأَهْدَى لَنَا خِطْرًا
وأَهْدَى دنانيرا ، وَأَهْدَى دراهمًا وأَهْدَى لَنَا بَزًّا ، وَأَهْدَى لَنَا عِطْرًا

فبلغ البيتان « معنا » ، فوجه إليه ألف دينار ثانية ، وألف درهم ، وسفط
بز وعتيدة عطر) والخبر كما جاء عند الخالدين أليق وأكرم ، فهما بلغ الأمر
بخليفة فلن يكتب إلى أحد عماله يستهديه عطرًا وخِطْرًا ... ثم يصرح الخليفة
بعد ذلك أن عامله — أو واليه على اليمن — أهدى إليه دراهم ودنانير
فنسب الخبر إلى الخليفة المنصور العباسي مسألة يشك فيها القارىء ، ويتوقف
عندها المحقق ، مهما علّق القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه بقوله :
(فاسمِعْ بخليفة امتدح أحدًا غير للنصور ...) .

ولا شك أن للقابلة بين أخبار النحف والهدايا فى كتابين أو أكثر تكشف
عن مسائل تستوقف النظر ، فى الفقرة ٢٩ ص ٢١ من كتاب القاضى
الرشيد بن الزبير أن دهمى — بالدال — ملك الهند كتب إلى عبد الله المأمون
الخليفة العباسى كتابا مع هدية بعث بها إليه . والحكاية المذكورة فى كتاب
« النحف والهدايا » للخالدين ، ولكن اسم ملك الهند جاء هكذا (دهمى)
بالراء لا بالدال . وكنّا نتوقع من الدكتور محمد حميد الله — وهو خير يِلاَد
الهند وبا كستان — أن يحقق لنا اسم دهمى أو رهمى ، ولكنه جرى على أن
اسمه (دهمى) بالدال ، واعتذر من أنه لم يتحقق له إلى الآن مسماه ، ثم اكتفى

بالرجوع إلى معلومات أمده بها المرحوم « أحمد ميان اختر جونا كرهى » ،
الأستاذ بجامعة السند ، والدكتور محمد يوسف أستاذ العربية فى جامعة كولمبو
بسيلان ، وكنت أوتر أن يقول عنها الدكتور محمد حيد الله إنها جزيرة (سرنديب)
كما جاءت فى كتب الأقاليم والبلدان العربية ، وكما استعملها شاعرنا
محمود سامى البارودى فى قصائده حينما كان يعانى مرارة النفى فى جزيرة سرنديب .

ومن المقابلات الطريفة بين أخبار الهدايا والتحف فى كتابى الرشيد بن الزبير
والخالديين ما جاء فى حكاية الحمير التى أهداها أبو ذؤلف العجليّ محملاً
بالزعفران إلى الخليفة المأمون العباسي ، فقد جاءت فى رواية القاضى الرشيد
ابن الزبير هكذا : (جاءت الهدية والمأمون عند الحُرْم — أى مكان الحرم —
فقبل له قد وجّه القاسم بن عيسى مائة حل زعفران على مائة حمار . فأحب
المأمون أن ينظر إليها على حالها . وكره أن يكون من الحمير شيء لا يصلح للنساء
أن ينظرن إليه ! فسأل سؤال مستثب عن الحُرْم : أهى أم ذكر ؟ فقبل :
أثن وحشية مُربّاة ، وليس فيها ذكّر . فسرّ بذلك ! وقال : قد علمت أن
الرجل أعقل من أن يوجه بها غير أثن !) ولكن الرواية جاءت عند الخالدين
هكذا : (فأحب المأمون أن ينظر إليها على حالها ، وكره أن يكون من الحمير
شيء لا يصلح للنساء) ولكن تكملة الفعل « لا يصلح » عند الرشيد ابن الزبير
أتم المعنى المقصود وأكثر توضيحه . ومن هنا كانت رواية « الذخائر والتحف »
أصح وأضبط .

وتكشف لنا المقابلات بين رواية الرشيد بن الزبير ، ورواية الخالدين
فى كتاب كل من الفريقين ، عن خلاف فى الأسماء ، وما أكثر خلاف الأسماء
فى كتبنا العربية ! فى الفقرة ٣٣ من كتاب « الذخائر والتحف » جاء اسم جارية
الخليفة للتوكل هكذا : شجر . وجاءت الحكاية فى « التحف والهدايا » للخالدين
واسم الجارية فيها : شجن ، بالنون . ولم يدع الدكتور محمد حيد الله المسألة
تبر بدون تعليق ، فكتب فى الهامش ما يلى : (مماها النزولى « مطالع البدور
٢ — ١٣٦ » شجرة الدر ، وذكر القصة أيضا الخالديان « التحف والهدايا ،
الباب الخامس » ومضى الجارية شجن) .

ومن الحكايات المشتركة بين « الذخائر والنحف » للقاضي الرشيد ، و « النحف والمدايا » للخلايين حكاية الملكة « برتا بنت الأوتارى » ملكة الفرنجة وما والاها مع الخليفة المكنفى بالله العباسى المتوفى سنة ٢٩٥ هـ . فلقد حقق اسم هذه الملكة وشخصيتها كل من الدكتور محمد حميد الله فى الذخائر ، والدكتور سامى الدهان فى النحف . ورجع كل منهما إلى مصادرهم وإلى أولى آراى فى تاريخ المصور الوسطى يستشيرهم . والاسم الصحيح لهذه الملكة : برتا . فلا هو ثريا ، ولا هو ترنا كما جاء فى بعض النسخ . والدكتور محمد حميد الله مشكور أجزل الشكر على تعب وجهده فى تحقيق اسم هذه الملكة الفرنجية وشخصيتها . ولكنه فى تعليقه على اسم « زيادة الله بن الأغلب » الذى جاء فى خلال الحكاية صححه فى الهامش بقوله : (الصحيح أنه إبراهيم بن الأغلب) وفى هذا الكلام نظر ، فإن النص فى متن الكتاب صحيح . لأن زيادة الله ابن الأغلب تولى إمارة دولة الأغالبة فى أفريقية من سنة ٢٩٠ هـ إلى سنة ٢٩٦ هـ كما جاء فى « معجم الأنساب » لزانبور ، وسنة ٢٩٢ هـ التى وقعت فيها الحكاية داخلية فى هذه المدة ، أى مدة حكم زيادة الله . أما إبراهيم بن الأغلب فقد تولى الحكم قبل سنة ٢٩٠ هـ ، فليس من المعقول أن تكون الحكاية قد وقعت فى مدة حكمه .

على أن هذه الزلة مغفورة بجانب الحسنات الكثيرة التى أبداها الدكتور محمد حميد الله فى التحقيق . وفى الحكاية — أو الفقرة — ٨٥ ص ٧٦ التى تنسب إلى ميخائيل ملك الروم أنه أهدى إلى المستنصر بالله فى وزارة الحسن ابن عبد الرحمن اليازورى هدية عن طريق البحر إلى تنيس ، لم يقبل المحقق هذا الخبر ، وصححه وعلق عليه فى الهامش بما يفيد أن الهدية إذا كانت سنة ٤٤٤ هـ كما فى النص ، فإن وزارة اليازورى من سنة ٤٤٢ هـ إلى ٤٥٠ هـ للهجرة كما ذكره الدكتور عبد النعم ماجد فى كتابه « نظم الناطمين ورسومهم » . والسنة ٤٤٤ هـ تطابق سنة ١٠٥٢ الميلاد ، ولم يكن حينئذ ميخائيل ملك الروم ، وإنما كان ملكهم هو قسطنطين التاسع الذى تولى الملك ما بين سنتى ١٠٤٢ ، ١٠٥٥ ميلادية وفى الحكاية — أو الفقرة ٧٤ — يحىء النص هكذا : قال أبو العباس

الطوسي : كان القادر بالله أنفذني إلى غزنة . في رسالة إلى محمود بن سبكتكين لإقامة دعوة (إلى العهد الغالب بالله . . .) فيعاق المحقق الدكتور محمد حميد الله في الهامش بقوله : (كذا . والذي يبيع لولاية عهد القادر هو القائم بأمر الله سنة ٤٢١ هـ) . وواضح أنه لم يتول خلافة بني العباس من لقبه الغالب بالله .

والحق أن الدكتور محمد حميد الله قد بذل في تحقيق كتاب « الذخائر والتحف » جهداً مشكوراً ، وسعياً محموداً . ورجع إلى كتب أخرى في الهدايا وغيرها يقابل بينها وبين ما جاء في النسخة الفريدة التي حققها ونشرها . ولكننا كنا نرجو منه أن يشرح لقارئ الكتاب كثيراً من الألفاظ والمصطلحات التي يقف القارئ أمامها عاجزاً عن الاهتداء إلى مرادها ، ما لم يسعفه كتاب محقق بما هو في حاجة إليه . ليس قارئ كتاب « الذخائر والتحف » مطالباً أن يرجع إلى كتاب آخر — لا إلى معجم من المعاجم — ليشرح له الألفاظ الاصطلاحية التي جاءت في الذخائر . وما أكثر هذه الألفاظ التي تعد بعشرات العشرات ! فقد تركها المحقق غريبة أمام قارئ النص لا يدري لها معنى . ومن هذه الألفاظ : شاذ كلاء ص ١٢٢ . والسقلاطون ص ٤٥ . ومائة قطعة أتوار فضة بشمع . وكبي ص ٧٩ . وأربعمائة « بلية » عليهم أنواع الثياب . ص ١١٥ . وبين أيديهم ألف نبيحة خيازر ، ص ١١٥ . والفلمان والشاكرية ص ١١٦ . وعشرون حبة ختو ص ٥٩ . وخرداذي فيروزج . ص ٢٦٩ . بين يدي كل حاجب ألف غلام بخفاتين ديباج . ص ١٤٥ .

وإذا كان الدكتور محمد حميد الله قد شرح للقارئ — في معجم الألفاظ لا في متن الكتاب — بعض الألفاظ الاصطلاحية ، فلماذا لم يتم صنيعه بشرح الألفاظ كلها وهي غريبة على من لا عهد له بالمصطلحات وما أكثرهم ؟؟

لقد تفضل المحقق فشرح لنا . معاني : درمون ، بأها . مركب بحري . من اليونانية . ودواج ، وجمعها دواويج بمعنى لحاف ، وألحفة . وزبذب بمعنى سفينة . وسلاء بمعنى السمن المطبوع . وشاندی بمعنى مركب بحري . وصير بمعنى السمك المملوح . وطميم بمعنى ثياب . وغضار صيني بمعنى صحفة الطعام . وفرفر بمعنى ثوب . وقتل بمعنى تاج كسرى ، فلماذا لم يشرح لنا معاني عشرات من الكلمات

وجدنا لها شروحا في كتاب (الديارات) لأبي الحسن الشاشتي الذي تفضل بتحقيقه تحقيقاً جيداً، وشرحه شرحاً كاملاً الأستاذ العلامة كوركيس عواد العضو بالمجمع العلمي العراقي في بغداد ؟

إن الألفاظ الاصطلاحية التي وردت في كتاب (الذخائر والتحف) كثيرة غير قليلة، وإن يجدها القارئ في المعاجم العربية الواسعة من أمثال الجهرة، والصحاح، والقاموس المحيط، ولسان العرب. وقد يجد بعضها في «شرح القاموس» للزبيدي، ولكنه مصدر غير متداول ولا في متناول أيدي القراء وأخشى أن عدم فهم قارئ الذخائر لهذه المصطلحات قد يصرفه عن فهم النص بجملة. بل قد يصرفه عن النظر في الكتاب وقرائه، وهي نتيجة لا أحب ولا أظن الدكتور حميد الله يحب أن ينتهي إليها قارئ الكتاب.

وفي الكتاب مواطن أخرى كانت تحتاج إلى التحقيق الدقيق والتعريف بها نذكر منها على سبيل المثال :

● (والنخاخ الجرمية) ص ١٣٤. علق عليها المحقق في الهامش بقوله : (كذا). والذي أعلمه أنها الجهرمية. نسبة إلى جهرم، بلد بفارس تنسب إليها ثياب كالبسط. انظر القاموس المحيط للفيروز ابادي.

● (من كورة دمس) ص ١٠٢. وليس في كور مصر القديمة ما اسمه دمس. ولعلها دمسيس بسينين اثنين. انظر القاموس الجغرافي لمحمد رمزي.

● (وانحدر إلى بلد اليجوم) ص ١٠٢. واليجوم اسم فرس، وليس هو المراد هنا. وللقصود بلدة (البجوم). وهي بالقرب من أدكو، وقد تهايلت عليها الرمال. وذكرها القلقشندي في صبح الأعشى ج ٣ — انظر القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، لمحمد رمزي.

● (وأهدى حسان القبطي إلى هشام بن عبد الملك كُساً وعطراً...) ص ١٥. فن حسان القبطي هذا؟ وأي قدر ساق هذا القبطي إلى بلاط هشام؟ لعل في الاسم تحريفاً.

● (وكان مما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة لمطر ، إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب وقصب الفضة والذهب والبنود) ص ٢٥١ ؛ وفي ص ٢٥٢ هذا النص : (مع ما فيها من قصب القصة وثيابها المذهبات وغيرها) فإهو قصب الفضة أولا ، وقصب القصة ثانيا ؟ ألا يكون هذا من تحريف الطبع ، وصوابها قصب الفضة في الموضعين ؟

● (فقال ذو الرياستين الفضل بن سهل بن الصولت) ص ١٨٣ . ولم أهتم إلى إلى ابن الصولت هذا ، فلعل المحقق الفاضل يدلنا عليه . فقد بحث في سيرة الفضل بن سهل وأسرته في كثير من المراجع ، فلم أجد (ابن الصولت) في أسماء آبائه .

● (وأهدى القائد أبو الحسين جوهر إلى المعز لدين الله . . .) ص ٦٧ . أقول جوهر القائد هذا هو جوهر الصقلى الذى كان على رأس الجيش القادم لفتح مصر ، والصواب أن كنيته أبو الحسن لا أبو الحسين ، وأظنه من تحريف الطبع . انظر ابن خلسكان ، والأعلام للزركلى .

هذه بعض ملاحظ على كتاب (الذخائر والتحف) وهى على ما يضاف إليها مما لم أذكره — لا تنقص من قيمة الجهد الكبير الذى بذله الدكتور محمد حميد الله لإخراجه وتحقيقه على خير الوجوه ، وأقربها إلى الأصل الذى كتبه لمؤلف ، ولكنه — مع الأسف — وصل إلينا محرفا فى نسخته الفريدة على يد النساخين والوراقين

ديوان عمرو بن قبيصة

تحقيق الأستاذ حسن كامل الصبري

نقد وتعليق الأستاذ طاهر محمد بحيري

صدر المجلد الحادي عشر ، من مجلة معهد المخطوطات العربية ، مشتملاً على تحقيق علمي دقيق لشعر عمرو بن قبيصة ، الشاعر الجاهلي القديم ، صاحب الأعراس التسعين ، ورفيق امرئ القيس على الدَّرْبَيْن .. درب الشعر العربي القويم ، ديوان العرب ، ووجهتهم في بلاغة القول ، وامتلاك ناصية البيان .. والدرب إلى بلاد الروم ، للملاقة قيصر — إن صحت هذه القصة — وهي الرحلة التي مات فيها امرؤ القيس بأنقرة ، في طريق عودته ، وقال فيها من آخر ما قال :
بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ وأيقنَ أننا لاحقانِ بقيصر
فقلتُ له : لا تبك عيمك .. إنما نحاول ملكاً ، أو نموت فنُعذرا
وكان صاحب امرئ القيس ، المعنى بهذه الإشارة ، هو شاعرنا ، عمرو ابن قبيصة ! الذي أصدر له المعهد ، هذه المجموعة المحققة من شعره .

وإذا كان الشاعران قد اصطحبا في هذه الرحلة — فيما تقول القصة — ، كما تعاصرا بالطبع ، فحمل كلُّ منهما نصيباً من رسالة الشعر ، ونشر لوائه علماً للأجيال التالية .. فإنهما مع ذلك قد اختلفا في حظهما من الشهرة ، وذيوع الصيت .

أصبح امرؤ القيس « أميراً للشعراء » .. في العهد القديم .

ونسى شعر عمرو بن قبيصة .. حتى سُمِّي : « عمراً الضائع » !

* * *

والذي قام بهذا التحقيق ، والشرح ، والتعليق ، هو صديقتنا العالم المحقق .

والشاعر اللغوى المدقق ، الأستاذ حسن كامل الصيرفى .. وهو ليس بحاجة منا إلى تقديم ، فتحقيقاته السابقة معلومة ومقروءة .. أما الذى هو بحاجة منا إلى التقديم ، فهو هذا الديوان الذى قام بتحقيقه اليوم .

ولقد عرف الصيرفى^١ ، دون محققى التراث العربى ، بمنهج شاق^٢ ، يلتزمه فى تحقيقه .. وسرى فيما بين أيدينا من تحقيقه اشعر عمرو بن قبيصة ، مثلاً راعياً .. على هذا المنهج العلمى الشاق ، والقدرة على التزام حرفيته .

* * *

وشعر عمرو بن قبيصة .. ضائع .. كما قلت !
وهذه المخطوطة .. التى نقرأها محققة اليوم .. لا تشتمل على كل شعره .. ولا على نصفه ، ولا على ثلثه .. بل على « طائفة » قليلة منه !
يكفى أنها تشتمل على ست عشرة قصيدة ، لشاعر عاش أكثر من تسعين سنة !

ويكفى أن أطول قصيدة فى المخطوطة ، يبلغ عدد أبياتها اثنين وثلاثين بيتاً .. فقط ، وهى القصيدة البائية ، التى يقول فى مطلعها :

غشبتُ منازلًا من آلِ هندٍ قفاراً بُدلتُ بَعْدَى عُقْبَا
يعقبها فى الطول ، قصيدتان .. إحداها تبلغ أبياتها تسعة وعشرين بيتاً .. والأخرى ثمانية وعشرين .. وكلاهما من بحر واحد ، وعلى روى واحد .. مطلع الأولى :

نأئك أمانةً .. إلا سؤالا وأعقبك الهجر منها الوصلا

ومطلع الأخرى ، يشترك مع مطلع الأولى ، فى صدره .. وهو :

نأئك أمانةً .. إلا سؤالا وإلا خيالاً .. يوافي خيالاً^(١)

(١) اكتشف المحقق أن الخطبة أخذ هاتين القصيدتين لعمرو بن قبيصة ، فى ألفاظهما ومعانيهما وقافيتها وبحرهما . وتمعب ذلك الأخذ فى حواشى الديوان بالمقابلة بين أبيات الشعارين ، وذكر أن أحداً ممن نرحوا ديوان الخطبة أو تكلموا عنه لم ينتبه لذلك .. ومطلع قصيدة الخطبة وهى فى مدح الخليفة عمر بن الخطاب قوله :

وهناك قصيدة أخرى يبلغ عدد أبياتها ثمانية وعشرين بيتاً أيضاً . . وهي
الحائية التي يقول في مطلعها :

أرى جارني خَفَّتْ وَخَفَّ نَصِيحُهَا وَحُبَّهَا ، لولا النَّوَى وَطموحُهَا
وتفاوت القصائد بعد ذلك في عدد أبياتها تفاوتاً تنازلياً ، حتى نجد في النهاية
قطعة من بيتين . . ها اللذان قالهما الشاعر ، عندما طلب إليه امرؤ القيس أن
يصحبه في رحلته الأخيرة ، التي أشرنا إليها ، وكان شيخاً مُسنّاً . . وهذان
البيتان هما :

شكوتُ إليه أني ذو جلالَةٍ وأنى كبيرُ ذو عيالٍ مُحَبَّبُ
فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً إذا سُرَّكُم لحمٌ من الوحش فاركبوا
فإذا جمعنا كلَّ أبيات المخطوطة — وقد يسَّر علينا المحقق ذلك بفهرس
القصائد ، وقد ذكر فيه صدر البيت من كل قصيدة ، وقافيتها ، وبحرها ، ورقها
من المخطوطة ، وعدد أبياتها ، وصفحتها — لوجدنا أن مجموع الأبيات الواردة
في متن الديوان هو ، اثنان وأربعة وعشرين بيتاً .

ولابدَّ السَّكَّال التحقيق من تتبع ما للشاعر من قصائد أو مقطوعات أو أبيات
مفردة ، في مظانِّها المختلفة ، بخلاف ما هو وارد في المخطوطة . . حتى يمكن أن
تقرب إلى حدِّ السَّكَّال المستطاع . . وهذا ما فعله الأستاذ المحقق ، فأضاف إلى
مجموعته الواردة بالمخطوطة مجموعة أخرى ، تتكوَّن من خمس عشرة قطعة . .
أطولها قطعتان تبلغ كل منهما أربعة أبيات . . ومطلع الأولى :

ليس طعمي طعمَ الأرانِبِ إذا قلَّد حصَّ درُّ اللِّقاحِ في الصَّنِيرِ
ومطلع الأخرى :

قد كان من غَسَّانَ قبلَكَ أُمٌّ لآلِكَ ، ومن نصرٍ ، ذُووِ نَعَمٍ

= نأثلك أمانة . . إلا سؤالا وأبصرتُ منها بغيبي خيالاً . .
ولكن المحقق لم يتمقب ابن قتيبة نفسه ، ليقول لنا لما إذا استعمل هو صدر البيت
في قصيدتين مختلفتين !

ثم مقطوعتان كل منهما ثلاثة آيات ، وثلاث مقطوعات كل منها بيتان . .
والباقية وعددها سبع ، إنما هي بيت واحد لكل منها .

وكل هذه المقطوعات شواهد خُرَّجَها من حماسة البحترى ، والأيام والليالي
والشهور للفرّاء ، وأساس البلاغة للزخشرى ، والكتاب لسيبويه ، والحيوان
للجاحظ ، والبيان والتبيين له أيضا ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ، وزهر
الآداب للحصرى ، واللسان لابن منظور ، وتفسير الطبرى ، والمعاني الكبير
لابن قتيبة ، وجمع البيان فى تفسير القرآن ، للطَّبَّرسِى . . كما أوردها تباعاً
على هذا الترتيب .

ومجموع آيات هذه المقطوعات المنسوبة إلى عمرو بن قتيبة فى المراجع
المذكورة هو تسمة وعشرون بيتا . . إذا أُضيفت لآيات المخطوطة ، السابق
ذكرُها ، كان مجموع الآيات التى قدّمها المحقق فى مجموعته لعمرو بن قتيبة هو
مائتين وثلاثة وخمسين بيتا .

* * *

نصل بعد ذلك إلى المنهج الذى اتّبعه المحقق فى تحقيقه .
وإذا نظرنا فى هذا المنهج ، وجدناه يشتمل فى أساسه على أقسام رئيسية .
اولها بطبيعة الحال هو التحقيق نفسه ، من تقويم للنصّ وتخرّيج للآيات
وشرح لألفاظها اللغوية ، وتتبع لما تحمله من المعانى والأغراض .
وثانيها هو هذه المقدمة الدارسة الشاملة ، التى تدلُّ على ما للمحقق من
إحاطة بموضوعه ، وقدرة على مناقشة من سبقه من المحققين ، فيما أورده من
آراء خالفهم فيها ، أو أنبتوه من نصوص رأى أنها بحاجة إلى مزيد من تقويم
وتصحيح .

وآخرها هو هذه الفهارس العامة ، التى تعدُّ مُعَاوَنَاتٍ للقارئ ، والتى
توسع فيها المحقق ، وابتكر منها جديداً ، حتى بلغ عددها ستة عشر فهرساً . .
وحتى بلغت فى حَجْمِها قريبا من نصف حجم الكتاب كلّهُ . . وعلى التحقيق
فقد بلغت صفحات الفهارس مثل صفحات المتن ، كلاهما يربى قليلاً على المائتين . .
أما صفحات المقدمة فقد بلغت وحدها ثلاثاً وخمسين صفحة .

يستعرض المحقق في مقدمته حياة الشاعر ، وشعره ، والعمل الذي قام به ، وما صادفه فيه من عقبات ، وما وجد لها من حلول .

ولكى يتحدثنا عن حياة الشاعر ، فقد كان من الواجب أن يوسع لنا دائرة بحثه ، حتى نرى صاحب هذه الشخصية ، فرداً متميزاً ، وسط البيئة التي عاش فيها . . ومن هنا رأينا المحقق ، وهو يحوم حول الشاعر ، يقف أولاً عند أسرته .

وفي الحديث عن الأسرة ، يقف بنا عند البيت الكبير . بيت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . . وإليه تنسب قبيلة الشاعر ، فيقال عمرو بن قيسة الضبيعي .

وينتهي نسب ضبيعة إلى بكر بن وائل . . أبي تلك القبيلة الكبيرة التي ينتهى نسبها بدوره إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ويخصى لنا المحقق من هذه الأسر أحده عشر شاعراً ، هم : سعد بن مالك ابن ضبيعة جدُّ الشاعر . . وعمرو (ويقال عوف أو ربيعة) بن سعد بن مالك ، وهو عمه ، ويعرف بالمرقش الأكبر . . وربيعة بن سفيان بن سعد ، ابن عم الشاعر ، وهو المرقش الأصغر . . وعمرو بن مرمّد بن سعد ، ابن عمه أيضاً . . وبشر بن عمرو بن مرمّد بن مالك ، عم أبيه . . وطرفة بن العبد بن سفيان ابن سعد ، (صاحب المعلّقة) ، وأبوه ابن عم الشاعر . . ثم ربيعة بن ضبيعة . . والحاتر بن عباد بن ضبيعة . . والخرنق بنت بدر بن هفّان أخت طرفة (١) . والأعشى ميمون بن قيس ، الذي ينتهى نسبه إلى سعد بن ضبيعة . . والأعلم ، عمرو بن مالك بن ضبيعة .

وهذا الإحصاء وحده يكفي لنعرف أى وسط شعري نشأ فيه شاعرنا . . فإذا علمنا أن هذا البيت في مجموعهِ ينتهى نسبه إلى ربيعة بن نزار ، وأن الشعر في ربيعة ، عرفنا قيمة هؤلاء الشعراء الروّاد ، كما عرفنا قيمة شاعرنا الرائد من بينهم أيضاً .

(١) إذا كانت الخرنق بنت بدر أختاً لطرفة ، فلا ريب أنها أخته لأمه ، وهو ما لم يشر إليه المحقق ، إلا أنه قال بعد ذلك : « ويقال إنها بنت سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة » . وفي هذه الحالة تكون عمته لا أخته .

ويخشى المحقق ان يشنبه علينا لقب « ابن قيثة » . . فنقع في الخطأ الذي وقع فيه كثيرون قبلنا ، فحسبوا بعض من حل هذا اللقب هو شاعرنا ، وليس به . . فنهم عمرو بن قيثة الصغير ، في عبد القيس . . ومنهم جميل بن عبد الله ابن قيثة ، وهو جميل بن عبد الله بن معمر ، صاحب بُثينة ، ويقول المحقق إنه « كان يقال له ابن قيثة ، وهي أم جدّه معمر » . . ثم ربيعة بن قيثة الصّفي ، أحد بني صعب بن تيم بن أنمار . وقد حرّفت كلمة الصّفي إلى الضّبي ، خطأ . . بل ان هناك رجلا آخر اسمه ابن قيثة الليثي ، هو الذي جرح وجنة الرسول الكريم في أحد ، وورد اسمه في الروض الأُنْف للسّهيلي « عبد الله ابن قيثة » ومع ذلك فقد أخطأ الزبيدي صاحب « تاج المروس » حين وهم أنه شاعرنا عمرو بن قيثة ، الذي مات قبل مولد الرسول بسنوات عديدة !

وبعد هذه الجولة ، ينتقل بنا المحقق إلى الشاعر نفسه . فيحقق اسم أبيه ، وهو قيثة بن سيد بن مالك . . الذي أوردته بعض المراجع باسم قيثة بن ذريح ابن سعد . . والمحقق يردّ في رفق لفظ ذريح من سلسلة النسب . . ثم نراه يحقق اسم أمه ، الذي لم تذكره المراجع ، فيرجع أنها تنتمي إلى نفس البيت الذي ينتمي إليه أبوه . كما يذكر جدّته لأبيه ، فيقول إنها قلابة بنت الحارث ابن قيس ، من بني يشكر .

ويذكر بعد ذلك أن عشائر هذه القبيلة الكبيرة كانت تعيش في تهامة اليمن ، والهامة ، والبحرين ، حتى أرض الجزيرة عند الفرات ، حيث نُسب إليها هذا الجزء من أرض الجزيرة ، فسُمّي « ديار بكر » . .

ثم يقول :

« وكانت قيس بن ثعلبة التي تفرّع منها بيت ضبيعة تنزل في الهامة . وقد مرّ بنا في ترجمة عمرو بن مالك بن ضبيعة أنه حين أسر مُهسلها التّغليّ أتى به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَرَ ، وهي المعروفة الآن باسم « الأحساء » . .

وهنا يقدم لنا المحقق تحقيقاً جغرافياً ، بالأماكن التي ارتادها الشاعر وأسرته فيقول :

« وكان البكريون في القرن الرابع الميلادي يخرجون من البحرين والعمارة ليعبرواهم وأحلافهم من بني تيم وعبد القيس على مملكة فارس المناخة لهم . وكانت قيس بن ثعلبة من أكثرها إغارة ، وأكثرها حروبا مع من يغير عليها . . »

ولكن لفظ « البحرين » يستوقف المحقق ويستوقفنا كذلك . . فهو الاسم الحديث للمنطقة . . فما هو الاسم القديم لها وقتئذ ؟

هنا يذكر المحقق بيتاً لعمر بن قتيبة . يقدم فيه صورة من صور بيئته ، وهو يشبه إبل محبوبته بالسفن ، وهي ترحل بسرعة . . يقول هذا البيت : هل ترى غيرَهَا نَجِيزُ سِرَاعاً كَالْعَدُولِيَّ . . رَأْتُمَا مِنْ أَوَّلِ ؟ ولفظ « العدولي » يذكرنا في الحال بقول طرفة في معلقة :

عدوليةٌ ، أو من سفن ابن يمينٍ يجور بها الملاحُ طوراً ، ويهتدي أما لفظ « أوال » . . فهو الجديد . . وفي شرح ذلك يقول محققنا :

« وَالْعَدُولِيُّ . . سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها « عدول » . . وأوَالُ بهذه الناحية أسفل من عمان ، وهي الجزيرة التي تعرف الآن باسم البحرين ، ويحيط بها البحر . وكان اسم البحرين قديماً يطلق على بلاد تقع على الساحل ما بين البصرة وعمان ، وقصبتها هَجَر ، المعروفة الآن باسم « الأحساء » . . كما ذكرنا من قبل . . »

« فأوَال » إذا هو الاسم القديم للبحرين في الوقت الحاضر .

و « البحرين » قديماً ، تقع على الساحل ، وعاصمتها حجر القديمة ، هي الأحساء في الوقت الحاضر .

أما تشبيه الإبل في سرعة سيرها بالسفن ، وهي صورة شعرية رائعة . . فذلك ما سنعرض له في حديثنا عن المتن — كما وعدنا — في مجال الحديث عن القصيدة اللامية المشار إليها . . وحسبنا هنا أن نذكر ، ونحن في مجال التحقيق الجغرافي ، أن هؤلاء العرب الذين كانوا يتخذون الإبل « سَفُنًا » للصحراء ، كانت لهم كذلك صلة قوية بالبحر . . وكانت صلتهم بهذا البحر من جميع نواحي

شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة في هذه الناحية الشرقية ، التي يقع فيها « الخليج العربي » . . الذي تذكر من ذكره اليوم ، حين نتحدث عن الوحدة العربية الممتدة من المحيط — وهو الأطلسي غرباً — إلى الخليج . . وهو هذا الخليج العربي شرقاً ، الذي كانت تمخر فيه السفن العربية . . والتي ذكر إحداها عمرو بن قيس في هذا البيت ، حين رآها ، تمخر العباب ، رائحة من أوال ، أي من البحرين !

* * *

ويخصّص المحقق خمس صفحات من مقدّمته ، ليحدد لنا تاريخه ببلاد عمرو ، وتاريخ وفاته . . فيقف عند قصة خروجه مع امرئ القيس إلى قيصر الروم ، وهي الرحلة التي أشرنا إليها ، أول هذا الحديث . والتي مات فيها امرؤ القيس عند عودته بأقره ، كما هلك فيها عمرو بن قيس أيضاً ، ولذلك سُمّيَ عمرراً الضائع . . كما ورد في الديوان في مقدمة قصيدته ذات البيتين ، التي أشرنا إليها أيضاً . . فقد مرّ امرؤ القيس بكر بن وائل ، فضرب قباها ، فقال : أما فيكم من شاعر ؟ فقالوا : بلى ! بقي لنا شيخ من قيس بن ثعلبة فسألهم أن يأتوه به ، فلما أتاه استنشد ، فأعجبه . فقال له امرؤ القيس . اصحبني ! ففعل ، فانطلق معه ، فهلك . . ولذا سُمّيَ . . الخ . .

والبيتان هما قوله :

شكوتُ إليه أننى ذو جَلالةٍ وأنى كبيرُ ذو عيالٍ محنَّبُ
فقال لنا : أهلاً وسهلاً ومرحباً إذا سرّ كم لحْمٍ من الوحش فأركبوا ..
وفيها ما يدل على كبر سنّ الشاعر . . وقد حدّد الشاعر سنّه مرة أخرى في قصيدةٍ لعلّه قاما بعد هذه ، ولعلّه كان يصف فيها رحلته نفسها ، وقد أحسن بكبره وعجزه ، طول الرحلة ، ومشقتها . . يقول في مطلعها :

إنّك قد أقصرت عن طولِ رحلةٍ فياربّ أصحابٍ بعثتُ كرام ..

ومنها يقول :

كأننى وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعتُ بها يوماً عذارَ الجاهي

على راحتين مرةً وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامى
 رمتى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمى .. وليس برامٍ ١٩
 ومن هنا يرى المحقق أن عمراً نيف في حياته على التسعين ، ولكنه يذكر
 أنه جاوزها بعام واحد .. ونظراً لأن رحلة امرئ القيس تحددها المصادر التي
 رجع إليها فيما بين عامى ٥٣٠ — ٥٤٠ ميلادية .. فهو يختار أولهما وهو عام ٥٣٠
 تاريخاً لوفاة الشاعر ، التي وقعت مع وفاة امرئ القيس في وقت واحد ..
 فإذا اعتبر أن الشاعر عمرٌ واحداً وتسعين عاماً ، كان مولده حينئذ في عام ٤٣٩
 ميلادية . وهو مخالف في ذلك بعض المؤرخين ، فلويس شيخو يحدد ميلاد الشاعر
 بعام ٤٦٩ ، ووفاته بعام ٥٦٠ . وجرو نباوم يحدد ميلاده بعام ٤٨٠ . وهى
 تواريخ متأخرة . فإذا أضفنا واحداً وتسعين عاماً مثلاً — وهى عمر الشاعر —
 إلى ٤٨٠ كما يقول جرو نباوم ، كانت وفاته عام ٥٧١ ميلادية . وهى السنة التى
 ولد فيها الرسول الكريم .. وليس ذلك بصحيح .. ولذا نجد أن التاريخ الذى
 حدّده الصيرفى لميلاد الشاعر ووفاته — وقد بناء على الظنّ أيضاً — هو الأقرب
 إلى الصواب .

* * *

ويناقش المحقق في مقدمته قضية أخرى ..

القضية يمكن أن نسميها قضية « الضياع » . . وقد وضع لها المحقق
 عنواناً هو « حياة الغربة » .. فذكر قصة ابن قتيبة مع زوجة عمه مرثد ، وهربه
 منه .. فذكر أنه كان في ذلك الحين في فتوته ، لم يجاوز العشرين إلا بسنوات
 قلائل .. واستشهد على ذلك بقصيدته اللامية التى وجهها إلى المنذر الأول
 ابن النعمان الأول ، التى سمّى فيها هذا الملك « ابن الشقيقة » . والتى يقول فيها
 معذراً إليه :

إلى ابن الشقيقة أعملتها أخافُ العقابَ ، وأرجو النوالا
 فأهلى فداؤك مسـتعباً عتبتَ فصدّقت فى المقالا
 أذاك عدوّ ، فصددّقتَه فهلاً نظرت — هُديت — السؤالا

فما قلتُ ما نطقوا باطلاً ولا كنتُ أرهبهُ أن يُقالا
فإن كان حقاً كما خَبَرُوا فلا وصلت لي يمينُ شمالا
تصدّق على فإني امرؤ أخاف على غير جرم نكالا ..

والحقّق يناقش هنا خطأ المستشرق تشارلس لايل — ناشر الطبعة الأوربية
للديوان — في قوله أن استعمال كلمة « ابن الشقيقة » بدلا من اسم « ابن ماء
السما » للمنذر ، يدل على قدم القصيدة .. يقول المحقق :

« أما قوله إن ذكر ابن قتيبة لهذا الاسم بدلا من اسم « ابن ماء السما »
يعتبر دليلا قويا على قدم القصيدة ، فهو خطأ من المستشرق ، لأن المنذر ابن ماء
السما تولى الملك في عام ٥١٤ ميلادية ، وكان الشاعر — وقتذاك —
في الخامسة والسبعين من حياته ، والقصيدة زاخرة بفورة الشباب ، والنظر
إلى مباهج الحياة ، مليئة في مطلعها بالغزل ، على حين كانت قصائده في فترة
الشيخوخة مائلة إلى الحكمة » .

هذا فيما يتصل بلقب « ابن الشقيقة » الذي يرى فيه المستشرق لايل أنه
قصد به المنذر الثالث « ابن ماء السما » ويرى فيه الصيرفي أنه المنذر الأول ،
وأن اللقب كان يطلق على التعميم ، على أبناء هذه الأسرة بعد النعمان الأول ..

على أن عمرو بن قتيبة كما نرى ، هرب من عمه ، ولجأ إلى الحيرة .. فكم
أقام بها ؟ والرواية التي تلى هربه ، هي لقاءه بامرئ القيس ، وهو في ديار بكر ..
وقد كبرت سنه .. فقصه هربه هي الغربة الأولى .. أما الغربة الثانية ، فهي رحلته
إلى بلاد الروم وضياعه ..

ويرى أستاذنا الجليل الدكتور طه حسين ، أن تسمية الشاعر بالضائع ،
لا ترجع لتلك الرحلة ، ولكنها ترجع إلى ضياع الشاعر وشعره من الذاكرة ،
كما ضاع امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص ، من الذاكرة كذلك ..
وضاع شعرها ..

هاتان هما قصتنا الغربة ، اللتان ذكرهما المحقق ..

ونحن نلاحظ في الآيات التي ذكرها الصيرفي ، من القصيدة اللامية ، أنها لا تشير إشارة مباشرة إلى قصة هرب ابن قتيبة من عمه مرثد .. بقدر ما يشير إلى « قول » بلغ المنذر عن الشاعر ، فوجد عليه .. فهو بلجاً إليه خوفاً من عقابه هو ، لا من عقاب عمه .. كما يرجو نواله أيضاً .. ويقول : « فما قلت ما نطقوا باطلا .. ولم يقل « ما فعلت » .. ويقول له في النهاية :

تصدق على فاني .. أمرؤ أخاف على غير جرم نكالا ..

وفهمنا لهذا البيت يدلنا على أنه يطلب العفو ، ويسميه تصدقاً .. ولو كان الموضوع هو قصته مع امرأة عمه ، لكان هذا الالتباس أحق بأن يوجه إلى عمه .. كما فعل في القصيدة الدالية .. يعتذر لهذا العم اعتذاراً مباشراً ، واضحاً .. فيقول :

لعمرك ما نفسٌ بجدةٍ رشيدةٍ تؤأمرني سرّاً لأصرم مرثداً
وإن ظهرت منه قوارصُ جمةٍ وأفرعٌ في لومي مراراً وأصعداً
على غير ذنبٍ أن أكون جنيتُهُ سوى قولٍ باغٍ كاذبي فتجهدا

فهذه أبيات طبيعية ، فيها هذه الروح الطيبة ، التي كانت ، وما برحت متبادلة بين الشاعر وعمه ، حتى بعد وقوع الحادثة المشار إليها .. وإذا نظرنا إلى الرواية التي ذكرها الصيرفي « لصاحب الأغاني ، وهي قوله : « وأما أبو عمرو [الشياني] فإنه قال : لما سمع مرثد بذلك هجر عمرأ ، وأعرض عنه ، ولم يعاتبه لموضعه من قلبه ، فقام عمرو يعتذر إلى عمه » الخ .. أقول إذا نظرنا لهذه الرواية ، مم راجعنا أبيات القصيدة الدالية ، لرجحنا أن عمرأ لم يخرج فراراً من عمه لهذه الحادثة .. وربما خرج لسبب آخر ..

على أنني كما ذكرت في أول هذا المقال ، ألاحظ أن هذا الشاعر الذي عاش واحداً وتسعين عاماً .. لم ترو له المخطوطة المحققة من القصائد إلا ست عشرة قصيدة ، بعضها بيتان .. وأضاف إليها المحقق شواهد أكثرها البيت الواحد .. فن المؤكد أن أغلب شعر هذا الشاعر قد ضاع .. كما أن حوادث حياته قد ضاعت

أيضاً من خلال ذلك . . وهذا يفسر ما ذهب إليه الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين ، من أن هذا الضياع ، إنما كان « ضائعاً من الذاكرة » .

على أن المحقق اكتفى بعرض هذا الموضوع عن « حياة الغربة » . . فذكر الغربتين المعروفتين . . ولونظر إلى الفجوة الزمنية بين قصائد الشاعر في العشرين وقصائده في التسعين . . لعرف أن هناك فترة طويلة من حياة الغربة . . ربما كان قد عاد فيها إلى وطنه ، أو رحل عنه عدة مرات . . ولكنها على أية حال فترة « ضائعة » . .

* * *

وإلى هنا ، أرجو أن تنتقل إلى متن الديوان ، ولما نأت على كل ما في المقدمة . . خوفاً من الإطالة . . وسنعود إلى ما قاله فيها عن منهجه الذي اتبعه في التحقيق في نهاية هذا الحديث . .

إن المنهج الشاق الذي اتبعه المحقق يظهر لنا لأول وهلة ، حين ننظر في قصائد الديوان ، وطريقة تخريجها ، وشرحها . .
ففي القصيدة الثانية مثلاً ، ومطلعها :

أرى جارتى خفت ، وخفّ نصيحُها وحُبُّ بها ، لولا النوى وطُمُوحها . .
نجدّه يذكر في تخريجها ثمانية وثلاثين موضعاً . . يشير إليها جميعاً إشارة وافية ، تذكر المرجع وصاحبه ، والطبعة ، ورقم الصفحات ، وعدد الآيات ، وما فيها من زيادة أو نقص . . يبدأ الشرح بيتاً بيتاً ، وكلمة كلمة . . مستطرداً في هذا الشرح ما شاء له الاستطراد . . فهو يبدأ بطبيعة الحال بالتفسير اللغوي ، ثم يتلوّه بالشرح والروايات على حسب ورودها في المراجع ولتقف وقفةً عند القصيدة الرابعة . . يقول الشاعر :

يا لهف نفسي على الشباب ، ولم أفقد به إذ فقدته . . أمماً
قد كنت في ميعهٍ أُسرُّ بها أُمْنَعُ ضيعی ، وأهبط العُصْماً
وأُسحب الریط والبرودَ إلى أدنى تجارى ، وأنفض الأمماً

لا تغبط المرء أن يقال له أمسى فلانٌ لُعمُرِهِ حكماً
 إن سَرَّهُ طول عيشِهِ فلقد أضْحَى على الوجهِ طولُ ما سَلِمَا
 إنَّ من القومِ من يُعَاشُ بِهِ ومنهم من ترى به .. دَسَمَا
 وإنما ذكرت هذه الآيات ، لما لها من منزلة خاصة في نفسى ، إذ كانت أول
 ما عرفت الشاعر ، وأنا طالبٌ ثانوى .. وهى مع ذلك أبيات أصيلة ، تدلُّ
 على روعة هذا الشعر الجاهلى ، وتُعْطى صورةً واضحةً للعالم لتلك الحياة الجميلة
 الطبيعية غير المتسكفة .. وهى قصيدة تدل على أن الشاعر جاوز مرحلة الشباب ،
 ففقد روعة تلك الحياة الحصبة النضرة ، وإن كان لم يفقد بذلك شيئاً من شخصيته
 البارزة ، وتفوقه على أقرانه ..

ويروى البيت الثالث : « إذ أسحب الرِّيطَ والمروط .. » وهو ما حفظته ،
 ويرجع المحقق روايته إلى حماسة أبى تمام ، والتبنيات ، ونظام الغريب ..
 كما يرويه عن حماسة البحتري « وأسحب الذَّيْلَ والمروط » .

ويشير المحقق إلى قوله فى البيت الرابع : « أمسى فلانٌ .. » فيقول
 فى المقدمة ، وهو يذكر أن لكل شاعر قاموساً لفظياً ، خاصاً به .. :
 « وقد ينفرد واحد منهم باستعمال لفظ لم يستعمله غيره .. كما انفرد
 ابن قتيبة بذكر لفظ « فلان » .. فى قصيدته رقم ٤ » ...
 ثم يقول :

« وانفرد كذلك بذكر مشعر لربعة هو « نُفْعة » [ص ٢٢] وورد
 فى بعض المراجع « بُقْعة » ، وهذا المشعر لم نهتد إلى شيء عنه ، كما لم يهتد من
 قبلنا ناشر الطبعة الأوروبية ..

والبيت الذى يشير إليه هو قول ابن قتيبة :

ومنزلةٍ بالحج أخرى عرقها لها نُفْعةٌ ، لا يُستطاع برُّوحها
 وتقول المخطوطة عقب هذا البيت :

« نُفْعة : يعنى المشعر ، كانت ربعة تقف به ، ليس لهم غيره » ..

ثم يقول المحقق إن هذا البيت لم يرد في الاختيارين ، وصفوة الشعر ، وروى في « منتهى الطلب » : « لها بقعة » . . كما ذكر في المقدمة . . ويعقب بأنه لم يجد شيئاً فيما بين يديه من المراجع حول هذا الشعر لربيعة ، المسمى « نفعة » . . وليست بين يديّ المخطوطة التي حقق عليها الصيرفيّ ، فلا أدري إن كان اللفظ هو « نفعة » حقاً كما قرأه ، أو أنه « بقعة » ، كما ورد في منتهى الطلب ، وكما وجده . . على أني أميل إلى الأخذ بما ورد في منتهى الطلب . . فإن للشاعر يقول :

وإني أرى ديني يوافق دينهم إذا نسكت أفرعها وذبيحها^(١)
ومنزلة بالحج أخرى عرقها لها بقعة . . لا استطاع بروحها
فالضمير في « لها » عائد على « منزلة بالحج » . . وهذه المنزلة هي الشعر ، وليست « نفعة » هي الشعر . . أما قول الشارح الراوى للمخطوطة : « نفعة : يعني الشعر . . الخ » فهو يقصد أن هذه البقعة هي الشعر الذي هو منزلة الحج المشار إليها . . ولا يعني أنه اسمٌ عَلِمَ على شعرٍ خاص . . وربما يؤيد هذا الرأي الذي أقوله ، أن المحقق على كثرة ما لديه من المراجع ، وعلى صدق الجهد الذي يبذله ، لم يجد شيئاً حول شعر لربيعة . . يسمى « نفعة » !

* * *

وهنا نصل إلى ما أشرنا إليه من قبل . . من تشبيه الإبل في سرعة سيرها بالسفن ، عند هؤلاء الشعراء الجاهليين ، وبخاصة من اتصلت رحلاتهم ببحر العرب ، أو شط العرب ، أو الخليج العربيّ ، أو بحر اللؤلؤ . . كما يعرف بكلّ هذه الأسماء . .

إن هذا التشبيه يستوقفني ، ويروني حقاً . .
لقد كنت أحفظ من قبل ، قول طرفة بن العبد :
كأن حُدُوجَ المالكية غدوةً خلایا سفینٍ بالنواصـف من دَر

(١) في المخطوطة « إذا نسكوا » ثم تقول المخطوطة بعده « وروى نسكت ، وهو أجود » .

عدولية .. أو من سفين ابن يامين يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد !
كم فى هذه الآيات الثلاثة من صورة شعرية جميلة ! فإن الحدوج هى مراكب
النساء فوق الجمال ، كالموادج ، يشبهها فى تأرجحها بالسفن العظيمة تجرى
فى مجارى السيل التى تشبه الأنهار .. والصورة التى فى ذهن الشاعر لهذه السفن
إنما هى صورة السفن العدولية ، المنسوبة إلى قرية عدولى .. وما أجل قول
الشاعر «يجور بها الملاح طوراً ويهتدى» ! .. إنها صورة لا يعرفها إلا من ركب
البحر ، وعرف كيف تتمايل السفينة بركابها ، فتمايل معها النجوم فى مسالكها ،
فيضل الملاح طريقه حيناً ، ثم يعاود الرشد فيهتدى إليه من جديد .. كما أن الصورة
فى البيت الثالث لا تقل جمالاً ، ففيها مقابلة بين صدر السفينة يشق الماء قسمين ،
وبين هذه اللعبة البدوية ، يشق فيها اللاعبون الرمال المهيبة بأيديهم قسمين أيضاً !
وهذا عمرو بن قتيبة يشبه العير وهى تجيز مسرعة بصاحبه .. بالسفن
العدولية ، وهى تروح من ميناء أوال أو البحرين كما مر بنا ..

وقبل أن نشير إلى الشواهد التى ذكرها المحقق على ورود هذا التشبيه بكثرة
لدى أولئك الشعراء .. ننظر معاً إلى هذه القصيدة اللامية ، التى ذكر فيها عمرو
تشبيهه وهو يذكر صاحبه «تسكنتم» (١) وقد هجرته ، لما رأت من تغير
حاله ، وما خلقت منه أحداث الأيام ، وصروف الليالى .. ومطلعهما :

إن قلبي عن تسكنم غيرُ سالٍ تيمّنى .. وما أردت وصالى

هل ترى غيرَها .. تجيز سراعاً كالعدولى .. رائحاً من أوالٍ ؟

فهذه قصيدة تجيش بال عاطفة الفياضة ، يذكر فيها الشاعر صاحبه تسكنتم
وأهلها ، وقد تحمّلوا عنه فرحوا ، ومحبتهم هى بعد أن تيمت فؤاده ..
وتركته وافقاً يودع هذه الركاب الموغلة فى الصحراء ، تتمايل هوداجها تمايل
السفن فى بحر العرب .. تنزل بالمواضع التى ذكرها ، فى أوقات من النهار

(١) تسكنتم اسم امرأة ، بنى على ما لم يسم فاعله .

(٢) التمسح : التماسح

والليل . . تجدد في سيرها حيناً ثم تستريح حيناً آخر . . ثم تتغلب عليه مشاعره
وقد رأى فزع صاحبته لما رأت من تغير حاله . . والإشارة هنا أيضاً إلى كبر
سنه ، لأنه راح يذكر بعدها ما تفعل الأيام والليالي بالمرء ، تُنجح عليه قُـوَاهَا ،
وتُقْـصِدُ سهامه ، وتُـضْعِفُ قوته . . وليس ذلك كله بمعجيب ، إنما المعجيب
حقاً هو أن لسكل حتى أجلا لا ريب فيه . . فالتمساح ذو الجلد الملوّن في الماء ،
والوحش المعتصم برءوس الجبال ، ونور الوحش الأسود الشاحب للنفرد وحده
في الرمال البعيدة ، والبطل الأروع ، المدرّع بدروعه . . كل أولئك يدركه
الأجل ، ويصرعه الموت . .

يقف المحقق بنا عند وصف الإبل بالسفن . . فيذكر قول طرفه
الذي مرّ بنا :

عدوليّة . . أو من سفين ابن يمين يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
ثم قول أبي دؤاد الإيادي :

هل ترى من ظعائن باكراتٍ كالعدوليّ . . سيرهنّ اتقحام
ثم قول البحتری . يذكر أوّال ، جزيرة البحرين :

شدّت على جمع الأحبة عنوةً يوم الخميس ضحى سفين أوّال
ثم قول تميم بن أبي بن مُقبل :

مال الحداة بها لحائش قريةٍ فكأنها سفنٌ بسيف أوّال
ثم قول المثقب العبدى :

وهنّ كذاك حين قطعن فلجاً كأنّ حموهنّ على سفين
يُشبّهن السفين وهنّ بُحْتُ عراضات الأباهر والشـثـون
كأنّ الكور والانساع منها على قرّواء ماهرةٍ ذهين
يشق الماء جؤجؤها ويعلو غوارب كلّ ذى حدبٍ بطين

ثم قول امرئ القيس :

فَشَبَّهَهُمْ فِي الْأَلِّ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَاتِقَ دَوْمٍ ، أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا

ثم قول عبيد بن الأبرص :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي ، هَلْ تَرَى مِنْ ظَعْمَانٍ كَوْمِ سَفِينٍ فِي غَوَارِبِ لَجَّةٍ
يَمَانِيَةٍ ، قَدْ تَقْتَدِي وَتَرُوحُ تُكْفِّهُهَا فِي وَسْطِ دَجَلَةٍ رِيحُ
ثم قوله أيضاً :

تَبَيَّنَ صَاحِبِي ، أَتَرَى حُجُولًا يُشَبِّهُ سَيْرُهَا عَوْمَ السَفِينِ ؟

ثم قول المرقش الأكبر :

لَمَنِ الظُّعْنُ بِالضُّعَى طَافِيَاتٍ شَبَّهَهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَفِينٍ
ثم قول بشر بن أبي خازم :

فَكَانَ ظُعْنُهُمْ غَدَاةً تَحْمَلُوا سُفُنُ تَكْفَأُ فِي خَلِيجٍ مُقَرَّبٍ

وهذه الشواهد الكثيرة بقدر ما تدلُّنا على قدرة هؤلاء الشعراء الجاهليين ، وإحاطتهم ، وحسن تصرفهم في هذا التشبيه واستعماله . . فإنها تدلُّنا كذلك على قدرة محقق المخطوطة ، وحسن تصرفه في تخرج هذه الشواهد من مظانها الكثيرة ، وعرضها هذا العرض المشوق ، الرائع . .

* * *

والقسم الثالث من هذا العرض السريع ، نتحدث فيه عن عمَلِ رائِعٍ حقاً ، هو هذه الفهارس الستة عشر . . وليست روعة هذه الفهارس في كثرتها ، ولكن في هذا الجديد الذي أضافه المحقق إليها ، فجعلها ذات فائدة علمية محققة .

وإذا كنا لن نستطيع هنا أن نقف طويلاً عند كل فهرس ، فحسبنا أن نشير إلى بعض هذه الفهارس ذات الأهمية الخاصة . .

ومن أكثر هذه الفهارس أهمية في نظري ، الفهرسان الأخيران « مهجم الشاعر » ، و « المعارف العامة » . .

في « معجم الشاعر » (١٩ صفحة) جمع المحقق ثمانية وخمسين وثمانمائة من الكلمات والحروف التي استعملها الشاعر ، ليكشف عن أيها أكثر دوراناً على لسانه . . ولا نظن هذا المعجم إحصائياً مجتاً ، فقد أعطانا المحقق أرقام الصفحات أمام كل كلمة أو حرف ، وبالرجوع إليها يمكن لنا أن نرجع بفوائد محققة . .

لقد وقفت مثلاً عند لفظ « أرنب » فوجدته مذكوراً في موضعين من قصيدة واحدة ، آياتها أربعة وهي :

ليس طعمى طعمَ الأرانبِ إذ قَلَّصَ درُ اللقَّاحِ في العُسْبَنِ
ورأيت الإمامَ كالجفنِ ألبا لي عكوفاً على قرارةٍ قدِ
ورأيت الدخانَ كالردِّغِ الأصمِّ ، ينباعُ من وراءِ السُّرِّ
حاضرٌ شرُّكمُ وخيرُكمُ درُ خرُوسٍ من الأرانبِ . . بكرة

واستوفيت استعمال الشاعر للفظ الأرانب ، واسكني وجدت في الشرح ما يدل على غرض الشاعر . . فإن ابن دريد يقول : « يقال للبكر في أول بطنٍ تحمله خرُوس » . . والبكر التي لم تلد إلا مرة واحدة ، وهو أقلُّ للبنها ، وأضيق لخرجه . . يقول الشاعر إنه كريم ، وليس بخيلاً . . في صورة شعرية تمثل البيئة أصدق تمثيل !

وأما « المعارف العامة » . . فقد جمع فيه الشاعر مائة وسبعة وعشرين موضوعاً . أذكر مثلاً عليها قوله في « الأرانب » أيضاً . . ليتم لنا بذلك الربط بين الفهرسين ، والنظر في تكامل العمل الذي قام به . . قال :

« ضربُ الممثل بقلبةٍ درَّها .

قال الجاحظ : ويؤمنون أنه ليس شيء من الوحش ، في مثل جسم الأرانب ، أقل أهنأ منها ، ودُرُوراً على وليدٍ منها » . .

وقد لاحظت في فهرس « الأحاديث النبوية » ذكره لكلمة « ضبائر » في قول الشاعر :

على مقذِّحراتٍ وهنَّ عوابسُ ضبائرُ موت لا يُراح مُريحها

فقال في تحقيقها من المقدمة :

« وانفرد باستعمال كلمة « ضبائر » أى جماعات (ص ٣٣) التى وردت فى بعض المراجع « صباير » ، وفسرت بأنها « قد صبرت للموت » .. وقال ناشر الطبعة الأوربية حين لم يهتد إلى وجهها إنها ربما كانت قلباً لكلمة « ضرائب » .. وقد أوضحنا حقيقتها ، فقد وردت لفظة « ضبائر » فى الحديث النبوى الشريف .. »

وقال عند شرح البيت فى القصيدة :

« ضبائر : جماعات . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر قوما يخرجون من النار ضبائر ضبائر . كأنها جمع ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضبارة » .. »

ثم ذكر الحديث الشريف فى الفهرس : « يخرجون من النار ضبائر ضبائر » .. »

وقد ذكر فى هذا الفهرس أيضاً من الحديث الشريف قول النبى عليه السلام : « لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب » .. عند شرح البيت :

سمونا لهم من أرضنا وسمائنا نغاورهم من بُعد أرضٍ بإيجافٍ

وقد ضبط « بُعد » بفتح الباء ، ولعلها بضمها . لتصح صورة الغارة القادمة من بُعد .. أما الإيجاف ، فقال إنه سرعة السير ، وأشار إلى الحديث الشريف .. والذى نلاحظه هنا أن الحديث الشريف نفسه ، منظور فيه إلى قوله تعالى فى سورة الحشر : (وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب ..) .

* * *

وبعد .. فقد وعدنا بالرجوع إلى المقدمة ، لوصل ما انقطع من حديثها .. وقد بقى منها ، مما تستحق الإشارة إليه موضوعان : « بحور الشعر التى استعملها الشاعر » و « منهج التحقيق الذى اتبعه المحقق » .. »

وفي الموضوع الأول ، تستوقفني قصيدة تبدو مختلفة الوزن ، لعمرو بن قيس ،
هي قوله :

يَارُبَّ مَنْ أَسْفَاهُ أَحْلَامُهُ أَنْ قِيلَ يَوْمًا إِنْ عَمْرًا سَكُورُ
إِنْ أَكَّ مَسْكِيرًا فَلَا أَشْرَبُ وَغَلَا ، وَلَا يَسْلُمُ مَنِ الْبَعِيرِ
وَالزَّقُ مُلْكُ مَنْ كَانَ لَهُ وَالْمَلِكُ فِيهِ طَوِيلُ [و] قَصِيرِ
فِيهِ الصَّبُوحُ الَّذِي يَجْعَلُنِي لَيْثَ عِفْرَيْنَ وَالْمَالُ كَثِيرِ
فَأُولِ اللَّيْلِ قَتَى مَا جِدُّ وَآخِرَ اللَّيْلِ ضُبْعَانُ عَشُورِ
قَاتَلَكِ اللَّهُ مِنْ مَشْرُوبَةٍ لَوْ أَنَّ ذَا مَرَّةٍ عَنْكَ صَبُورِ

وهذه القصيدة تذكرني في الحال بمعلقة عبيد بن الأبرص ومطلعها :
أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقَطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ
فِرَاكُسُ ، فَتَعْمِيلِبَاتُ فَذَاتُ فِرْقَيْنِ ، فَالْقَلْبِيبُ

والتي قال بشأنها أبو العلاء :

وقد يخطئ الرأي أمرؤ وهو حازمٌ كما آخَلَ في وزن القريضِ عبيدُ
وقد عرض المحقق لموقف تشارلس لايل من هذه القصيدة ، إذ تردّد أمامها ،
فاعتبر البيتين الأول والثاني من بحر السريع ، وأن بقية الأبيات تخرج عن
نسق هذا البحر بقلب نظام التفعيلتين الثانية والثالثة . .

كما عرض لرأي كارل بركلان . الذي يذكر فيه إن فن العروض كان يقف
عند أولئك الشعراء القدامى على قواعد ثابتة ، غير أبيات نجدتها خارجة عن
العروض الذي وضعه الخليل . . ثم يقول : « ويبدو أن هذه الظواهر آثار
قليلة لمرحلة من النمو لم تقف على كنهها بعد » . .

أما أبو حيان التوحيدي ، فيذكر في « الهوامل والشوامل » . . رأياً
أقرب إلى الصواب ، عند ذكره قول المرقش :

لَابِنَةُ عَجْلَانَ بِأَلْطَفِ رَسُومٍ لَمْ يَتَعَمَّقِينَ ، وَالْمَهْدُ قَدِيمِ

فيقول أبو حيان :

« وهى قصيدة مختارة فى المفضليات ، ولها أخوات لا أحب تطويل الجواب بإيرادها .. كانت مقبولة الوزن فى طباع أولئك القوم ، وهى نافرة عن طباعنا، نظمتها مكسورة . وكذلك قد يستعملون من الزحاف فى الأوزان التى نستطيعها ما يكون عند المطبوعين منا مكسوراً ، وهى صحيحة . والسبب فى جميع ذلك أن القوم كانوا يجبرون بنغمات يستعملونها مواضع من الشعر يستوى بها الوزن . ولأننا نحن لا نعرف تلك النغمات إذا أنشدنا الشعر على السلامة ، لم يحسن فى طباعنا .. »

أقول : إن هذا الرأى أقرب إلى الصواب ، وبخاصة فى قوله إنهم « كانوا يجبرون بنغمات يستعملونها مواضع من الشعر يستوى بها الوزن » .. ولهذا عندى تجربة خاصة .. فقد لاحظت عند زيارتى للجزيرة العربية ، واستماعى إلى طريقة إلقاء الشعر عند الشعراء البادين حتى اليوم ، أنهم يتغنون بالشعر ، ويتمايلون له ، ويأتون فى ذلك بنغم ، على طريقة تخالف طريقتنا السوية .. فكأن النغم عندهم هو الأساس فى الشعر .. فإذا أضفنا إليه ما يرد عادة فى شعرهم من الزحاف ، بل إذا نظرنا إلى بحر من الشعر هو « الحفيف » ووزنه « فاعلاتن مستفعلان فاعلاتن » فوجدنا أن أكثر شعراء العربية يخرجون عليه ، فيجعلون « منفعلاً » بدلاً من « مستفعلاً » تخفيفاً .. أقول إذا نظرنا لسلك ذلك وجدنا صحة القول ، بأنهم إنما كانوا يتغنون بالشعر ، ولا يلقونه بإلقاء كاللقائنا اليوم .. وهكذا أصبح للنغم مكان من الوزن .. وأصبح يمكن لهذا النغم أن يسد الفجوات التى تنشأ عن الزحاف ، أو المخالفة بين التفعيلات ، أو غير ذلك ..

على أننى أضيف إلى ذلك فيما يختص بقصيدة عمرو بن قيسة .. أننى أشعر فيها بالإدلال من الشاعر .. وموضوعها يساعد على ذلك الإدلال ، ويتطلبه .. فهو يتحدث عن الشراب الذى يصل فيه إلى حد السكر ، حتى يتندّر به المتندرون .. ولكنه مع ذلك لا يرى فيه ما يعيبه .. وإن كان ينهى باللائمة على ذلك الشراب نفسه .. فهو القى الماجد فى أول الليل ، يصنع منه الشراب فى آخره ضبعاً

أعرج .. قاتل الله الحمر ، وإن كان صاحبنا لا يستطيع أن يصبر عنها !
قاتلك الله من مشروبةٍ لو أن ذا مرةٍ عنك صبور
أليس في التفتي بهذه الآيات ، والتطريب بها .. ما يشعرك بادلالٍ شاربٍ
شميل ؟ ! ..

* * *

ولا يبقى بذلك إلا حديث منهج التحقيق .. ولا نريد أن نفيض فيه ..
فحسبنا أن يرجع القارئ بنفسه إليه ، فيجد في المقدمة ، وفي الديوان ،
وفي التعميمات أنه أمام عمل كبير .. وإن كل حديثنا هذا المسهب عنه ، ليس
إلا قطرةً من بحر !

وإذا كان النقد إظهاراً للمحسن .. فنحن نريد أن نتقد صديقنا الصيرفي
نقداً لازعاً .. فنقول إنه قد زاد من هذه المحاسن !

لقد أحسننا فعلاً بتزييده في بعض المواضع ، ولكنه المزهج المبسوط الواضح
الذي التزم به .

وقد أحسن صديقنا ، أننا لا شك واقفون عند هذا التزييد ، ولو وقفة
قصيرة .. فأجاب عنه في المقدمة .. فقال إنه أراد بذلك أن يربط بين صور العصر
والفاظه ربطاً متصلًا متلاحماً .. كما أراد من وراء ذلك التزييد تقريب هذا
الشعر إلى أبناء العربية الذين بعدوا عن مناهل أدبهم وأصوله القديمة ، وليعايشوا
الشاعر ، وشعره عصره — حين يقرأون له — معايشة ظاهرة الملامح ،
واضحة المعالم !

* * *

وأخيراً ، فنحن حين نهني صديقنا العالم المحقق الأستاذ حسن كامل الصيرفي
على هذا الجهد الذي يضاف إلى جهوده السابقة في خدمة إحياء تراثنا الشعري .

نجدنا مدفوعين إلى تقديم الشكر جزيلًا إلى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وإلى السيد الأستاذ الشاعر المفكر الدكتور مختار الوكيل ، مدير المعهد ، وإلى القائمين عليه أن أتاحوا لنا فرصة الاستمتاع بهذا العمل الجليل القدر ، من بين أعمال كثيرة أخرى ، يشرفون على إخراجها ونشرها . . صادقين في خدمة تراثنا العربي الأصيل !

والله الموفق . . وهو الهادي إلى سواء السبيل .

أنباء وآراء

أفلام اليونسكو في معهد المخطوطات

بناء على الاتفاقية المبرمة بين منظمة اليونسكو وبين جامعة الدول العربية في عام ١٩٦١ ، والتي نصت في أهم بنودها على (١) :

أن يوضع تحت تصرف معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وبصورة دائمة نسخة ثانية من المخطوطات التي تصورها الوحدة المتنقلة التابعة لليونسكو من مكتبات ودور الوثائق القومية في البلاد العربية والتي تتعلق بتاريخ تلك البلاد وتراثها الثقافي .

بناء على هذا فقد قامت وحدة التصوير المذكورة بزيارة للملكة المغربية عام ١٩٦١ وقامت بتصوير ١٢٠٠ مخطوطة من ثلاث مكتبات شهيرة بالمغرب هي :

١ — مكتبة الرباط .

٢ — مكتبة عبد الحى الكتانى .

٣ — مكتبة الزاوية الحزاوية .

ثم انتقلت الوحدة بعد ذلك إلى ليبيا ، وصورت حوالى ١٥٠ مائة وخمسين مخطوطة من مكتبة طرابلس ، ثم عددا كبيرا جدا من الوثائق التي تتعلق بمعهد الاحتلال الإيطالى وغيرها من الوثائق الأخرى .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى سوريا ، ولكنها لم تتمكن إلا من تصوير ما لا يزيد عن خمس وعشرين مخطوطة .

وجاءت الوحدة بعد ذلك إلى مصر عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ واستغرقت ستة أشهر في تصوير المخطوطات في دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة

(١) انظر النص الكامل للاتفاقية في المجلد السابع ١٥٣/٢ من هذه المجلة .

بها ، ثم مدت عملها لفترة ستة أشهر أخرى لتصوير المكتبة الأزهرية
ومكتبات الأروقة في الجامع الأزهر ، وفيما يلي بيان بما صورته من تلك
المكتبات :

٥٣٤	مخطوطا في ١٣٥	فيهما من مقتنيات دار الكتب
٥٤٢	» » ١١٦	المكتبات المملوكة بدار الكتب
٤٩٨	» » ١٧٤	المكتبة الأزهرية
٤٥٤	» » ١٨٦	الأروقة الأزهرية

هذا ولقد تم إيداع النسخة الموجبة لهذه الأفلام كلها في معهد المخطوطات ،
وبناء على الاتفاق السالف الذكر والذي ينص على أن يقول المعهد بفهرسة
هذه الأفلام ووضعها تحت أنظار الباحثين والعلماء فلقد قام المعهد في عام ١٩٦٥
بتعيين ثلاثة من المفهرسين المتخصصين للقيام بفهرسة هذه الأفلام وتصنيفها
توطئة لطبعها ، وفعلًا قام الأساتذة المفهرسون بتصنيف وفهرسة عدد كبير منها
ورغم العقبات الكثيرة التي صادفتهم أثناء العمل والتي كان من أهمها :

أولا : الحالة السيئة التي كانت عليها المخطوطات الأصلية والتي ظهرت
في التصوير ، فقد أصابت الأرضة والرطوبة والتآكل الكثير من هذه
المخطوطات .

ثانيا . ضياع أول وآخر صفحات بعض هذه المخطوطات مما يجعل البت
في معرفتها متعذراً في كثير من الأحيان .

ثالثا : ورد قَدْرٌ من هذه المخطوطات على أنه كتب مستقلة ، وبالبحث
كان يظهر أنها أوراق دشت جلدت معا ، أو مجموعة بها كتب صغيرة أخذت
اسم الكتاب الأول بها .

ورغم كل هذه العقبات التي أمكننا التغلب عليها بالكثير من الجهد والصبر ،
فقد بدأ المعهد في تصنيف هذه الأفلام حسب فنونها ، وأعد مجموعة كبيرة من

أفلام التاريخ والتراجم وغيرها من الفنون يبلغ عددها حوالى ٥٠٠٠ مخطوط
سوف تطبع فى خمسة أجزاء من الفهارس .

وقد روعى فى الفهرسة ما يتبعه معهد المخطوطات دائماً من أن تكون
البيانات عن كل كتاب مستوفاة تماماً وأن يذكر المرجع الذى ذكر فيه الكتاب
فى بروكلمان أو غيره من كتب التراجم الأخرى .

على أنه تجدر الإشارة إلى أن المعهد قد أضاف إلى الكتب التى وردت له
عن طريق اليونسكو أفلاماً أخرى كان قد قام بتصويرها من بلاد العالم المختلفة ،
وذلك إتماماً للفائدة وتعميماً للعلماء والباحثين بها ، ويمكن للمطلع على الفهارس
أن يعلم الفرق بين هذه وتلك بما وضعناه من اسم اليونسكو UNESCO تحت
كل فيلم صور بواسطة وحدة التصوير التابعة لهذه المنظمة الدولية .

ولقد قصدنا إلى ذلك تنويرها بما قامت به من جهود لتصوير التراث العربى
وجما له فى مكان واحد على قدر المستطاع .

وتطبيقاً لما ورد فى الاتفاق الذى أبرمته جامعة الدول العربية مع منظمة
اليونسكو من وضع فهرس للمخطوطات التى يصورها اليونسكو طبقاً لتلك
الاتفاقية .

وإننا نأمل أن تصدر هذه الفهارس تبعاً إن شاء الله .

محمد مرسى الخولى

الفهرس

صفحة

المخطوطات العربية في العالم

المخطوطات العربية في يونسلافيا للدكتور حسن قلشي ٣

التعريف بالمخطوطات

أورد على الزبيدي في الحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر ٢١
مثلى الطريقة في ذم الوثيقة لائن الخطيب للأستاذ عبد الحفيظ منصور ١١٣

نقد الكتب

كتاب الذخائر والتحف للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ١٣٢
ديوان عمرو بن قبيصة لأمر محمد بحرى ١٤٣

أبناء وآراء

أفلام اليونسكو في مهدها المخطوطات ١٦٦